دار م. النحاس

HARLEQUIN

قلوب عبير

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

عندما يتزوج عدوان

ليندساي آرمسترونغ

عندما يتزوج عدوان

ليندساي أرمسترونغ

«لقد كان كلامك واضحاً تماماً وانت تقول انني سافقد كل شيء إذا لم اتزوجك.»

وهكذا وافقت لوسي على الزواج من جاستين وايت، الرجل الذي كان عدواً لها. لقد اراده جاستين ان يكون زواج مصلحة فقط، ولكنه سرعان ما اوضح لها بأنه سيكون اسعد حالاً مع زوجة بكل معنى الكلمة. لتدرك لوسي، بعد فوات الاوان، السبب الذي جعلها تمتثل لاغراء جاستين، وهو أنها لم تعد تعتبره عدواً لها.

000529

«إنني حقًا لا أدري ما الذي عليّ أن افعله لكي اجعلك ترضى عني، يا نيكولاس.»

فانتقل نيكولاس من مكانه ليصبح وجهه في الظلال ما لم تتمكن معه من رؤية ما بدا على وجهه من تعبير وهو يقول: «إنه الشيء الوحيد الذي ترفضين القيام به.»

ولم تستطع جولي منع الصور من التدفق إلى ذهنها، والتي تمثلها إلى جانبه في غرفته، وهي تجيب: «ولكن، ربما لن أرضى عن نفسي، حينذاك...»

ليندساي آرمسترونغ

ولدت ليندساي آرمسترونغ في جنوب افريقيا ولكنها تعيش الآن في استراليا مع زوجها النيوزيلاندي المولد وابنائهما الخمسة. وقد عاشا في كل منطقة في استراليا تقريباً حيث قاما باعمال غير عادية بالنسبة اليهما مثل الزراعة وترويض الخيول، مستغلة، ككاتبة، كل ما تصل إليه يدها من تجارب. وقد ابتدأت تكتب رواياتها العاطفية عندما دخل اصغر اولادها المدرسة ما جعلها تشعر بالوحدة. هذا ومازالت تكتب وتعشق الكتابة.

khouloub Abir

عندما يتزوج عدوان

ليندساي آرمسترونغ

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

«إنه شيء لا يمكن تصديقه، يا نيكولاس، فهنالك مصور فوتوغرافي... آه، آسفة، لم اكن ادرك ان لديك زائرين.»

ووقفت جوليا ويلز على عتبة مكتب زوجها، ثم مالبثت أن دخلت وهي تتابع قائلة: «ولكن هذا انت فقط يا فيرا... حسناً، ان معك شخصاً آخر.» ووجهت حديثها بأدب إلى الشخص الثالث في المكتب قائلة: «اهلاً وسهلاً. انني جوليا زوجة نيكولاس. ولكن اكثر الناس يخاطبونني باسم جولي. من أنت؟» ومدت إليه يدها تصافحه.

وقف الرجل الغريب بسرعة وهو يمد يده قائلاً: «انني انطوني ريد. كيف حالك يا سيدة ويلز؟» كان في حوالي الثالثة والعشرين من عمره. وقد بدا عليه الارتباك والانبهار معاً.

أجابت عابسة: «شكراً. انني اشعر بشيء من الضيق، فقد اقتحمت عليّ عزلتي، يا سيد ريد، ولا استطيع تجنب الشعور بأنك قد تكون مسؤولاً عن شعوري هذا.»

رمشت عيناه بشيء من الدهشة وهو يراها تحدق فيه بعينين زرقاوين صافيتين مائلتين إلى اللون البنفسجي. كان لها عينان مخمليتان داكنتا الزرقة وبشرة بلون القشدة. وكانت تربط شعرها الأشقر إلى الخلف بشيء من الاهمال.

قالت فيرا بشيء من الجفاء: «اراك كثير التحديق، يا سيد ريد.» وكانت هذه امرأة رشيقة حمراء الشعر في بداية العقد

الثالث من عمرها، ولكن لم يكن يبدو واضحاً ما إذا كانت من افراد الأسرة.

ولكن السيد ريد لم يكن فاقداً للكياسة رغم حداثة سنه، فقال يجيبها: «هذا طبيعي، فأنا لم أر للآن من هي بمثل جمالك يا سيدة ويلز. هذا وارجو المعذرة لقولي هذا ياسيدي.» واستدار إلى نيكولاس ويلز الذي كان جالساً خلف مكتبه والذي لم يكن ليهتم لشيء، خاصة إذا كان هذا الشيء مديحاً بزوجته الرائعة الجمال والبالغة العشرين من عمرها.

فقال يجيبه: «انك معذور يا سيد ريد، فهذا هو تأثير جمال زوجتي على الآخرين منذ كانت في المهد.» ووقف فبدت قامته البالغة ستة اقدام طولاً. كان ذا عينين رماديتين عنيفتين نوعاً ما، ومظهر رجل مادي حنكته التجارب، وهو يقول: «وهي منذ ذلك الحين تمنيهم بالخيالات.» فاتسعت عينا ريد وهو ينظر إلى جوليا، ولكنها لم تزد عن أن ابتسمت وهي تتمتم قائلة: «وما الذي فعلته أنا الآن، يا نيكولاس؟»

أجاب: «أرى انك انت التي اقتحمت عزلتك، يا عزيزتي. ألم تكتبي إلى مركز اعلامي تستدعينهم لكي يكتبوا قصة عن هذا المكان، وعنك ايضاً؟»

فقالت جولي تخاطب ريد بابتسامة أخاذة: «نعم، لقد فعلت ذلك. إذن فأنت منهم! ولكنك لم تخبرني بقدومك. لقد ظننت أنك واحد من اولئك الصحافيين الذين لا ينفكون يضايقونني.»

فقال نيكولاس بلهجة سببت لانطوني ريد شيئاً من الذعر

رغم انها لم تترك على جولي اي تأثير، قال: «جولي، لقد حدث هذا مرة واحدة فقط ولم تتكرر بعد ذلك.»

نهضت فيرا اندروس والتقطت رسالة من على المكتب وهي تقول: «اما السبب في انك لم تعلمي مسبقاً بقدومه، فهو انك اثناء غيابنا أنا ونيكولاس، لم تكلفي نفسك عناء فتح الرسائل القادمة رغم وعدك لي بذلك.»

فقال انطوني ريد بحرارة: «هذا صحيح. فقد كنت كتبت إليك بأنني قادم هذا النهار إذا كان هذا يناسبك.»

قالت جولي بأسف: «آه، ولكن كان عليك أن تنتظر الجواب يا سيد ريد. ولكنني بما انني عرفت من انت، فسنمضي قدماً، إذ ليس لدي شيء آخر يشغلني. بالمناسبة، انك لا يمكن الاستغناء عنك يا فيرا. سأذهب لتغيير ثيابي الآن.»

فقال زوجها: «انك لن تقومي بعمل كهذا يا جولي.»

فقالت جولي محتجة: «ولما لا يا نيكولاس؟»

وتقابلت عيناها بعينيه، وشحن الجو بالكهرباء بالرغم من أن احتجاجها كان رقيقاً، ما أحس انطوني ريد معه بالحيرة وجعلته يتساءل عما يجري وراء الأبواب المغلقة بين نيكولاس ويلز وزوجته. اتراه يضربها...

ولم يلبث نيكولاس ان قال وقد تحولت نظراته عن زوجته ما جعل التوتر يخف بينه وبينها: «لأنني انا اقول هذا يا جولي، عودي إلى جيادك يا عزيزتي ودعيني اعتذر لما حصل من عدم التفاهم هذا.»

فهزت جولي كتفيها قائلة: «مهما يكن ما تقوله، يا نيكولاس، فأنا التمس المعذرة منك يا سيد ريد. لقد تم

زواجي منذ فترة قصيرة فقط، ولهذا لم اتعود بعد على الأنظمة هنا، ولكنني...»

فهتف بها زوجها: «جولي...»

تحولت خارجة وهي تقول ملوحة بيدها: «ها إنني خارجة يا نيكولاس.»

وعلى مائدة العشاء، قال نيكولاس يخاطب زوجته: «اعتقد ان هذا النهار حوى من العنف فوق ما كنت اتوقع، ما خالف وعدك لي يوم زواجنا، يا جولي.»

فاخذت تسوي من ثنيات ثوبها الأسود الذي كانت ترتديه بمناسبة العشاء، ثم التقطت الملعقة ومضت تتناول الحساء وهي تجيبه قائلة: «هذا صحيح، يا نيكولاس.»

فقال: «لم يكن الأمر حسناً.»

فقالت باسمة: «في الحقيقة، ظننتك قد خرجت عن طورك قليلاً، يا نيكولاس. انك تكره الدعاية، أليس كذلك؟»

فأجاب بجفاء: لا استطيع ان اصدق انك تستمتعين بها.»

فلوت شفتيها قائلة: «ما هي إلا صحيفة قروية محدودة. ان كل ما كنت اهدف إليه هو أن أريهم المنزل وبعض... كنوزنا، والتحسينات التي ادخلتها أنت على الاملاك. انها ستكون خبطة صحفية بالنسبة إلى شاب صغير. ألا ترى ذلك؟ إنه سيكون ذكراً لآل ويلز في الصحيفة ولو كانت قروية. لا شك انك افسدت آماله في مهنته، يا نيكولاس، ثم إنه في الواقع، شاب ظريف.»

فأجاب: «إنني لم افسد عليه مهنته ابداً، ولكنه يدرك الآن ان زوجتي قد خرجت عن حدودها، فالأفضل لك إذن ان تنسيه، يا جولي، وكذلك أي رجل آخر قد يلفت انتباهك.»

فتمتمت ضاحكة: «هل تخيفني بذلك، يا نيكولاس؟ على كل حال، ربما لم افقد كل شيء بعد، فلا بد ان هناك شخصاً واحداً يعلم ان آل ستورم وآل موركنغ قد ربط بينهما زواج غريب جداً.»

فقال: «على العكس، فهناك شخص واحد على الأقل يعلم ان جوليا ويلز ما هي إلا طفلة قد افسدها التدليل وتستحق درساً جيداً.»

فقالت: «بحكم خبرتي لا اراهم يظنون ذلك بالنسبة إليّ... وقد يكون ابناء جيلك فقط من تعني... فأنت الرجل الوحيد من ابناء جيلك الذي علي ان اختلط به، وعلي ان اخبرك انك إذا كنت تعني حقاً ما اظنك تعنيه...»

فقاطعها قائلاً: «بأنك تستحقين الصفع.»

فقالت وقد بدت في عينيها لأول مرة ومضة غضب: «ما اجمل هذا. عليك أن تعلم أن الغضب قد يتملكني حتى ولو تمكنت من أن اصيب منك الهدف. لا تنسى أنني رامية ممتازة، فأنا اعرف تماماً كيف اضايقك دون أن اسبب لك الكثير من الأذى، وذلك بشكل يبدو شيئاً عارضاً غير مقصود.»

قال ببطء: «إنني لم اقصد شيئاً كهذا، يا جولي.»

قالت: «يا لك من شجاع.»

فقال: «ان ما قصدت قوله هو درس من نوع آخر، مثل أن... ان ارغمك على فعل أشياء معي إلى أن اخضعك... هذه هي نظرتي بالنسبة إلى معاملة النساء.» وتابع قوله وهو يعاين النبض الذي في اسفل عنقها والذي أخذ ينبض بسرعة: «ذلك أن اكثر ما يجعل النساء مزعجات للآخرين هو

اهمالهن قليلاً، وفي مثل حالتك خاصة، انت بحاجة إلى طفلين يشغلانك عن الشقاوة.»

احتاجت جولي إلى عدة لحظات لتتمالك فيها نفسها لكي ترد عليه، ولكنه سبقها ليسألها: «ألا توافقينني على هذا؟»

فأجابت بهدوء: «من المؤسف انك لا تعيش في احد العصور الغابرة حيث كانت المرأة تعتبر من جملة الأمتعة والمنقولات، وحيث انها تتخذ لمجرد النسل فقط... كالاغنام، فهي لا تعتبر ذوات عقل وانما تتحرك بالفطرة.»

فقال: «اخبريني إذن... حيث انك انت التي طلبت ان يكون زواجنا بهذا الشكل، هل تشعرين انك سعيدة لذلك؟»

فقالت: «ولكنك وافقت على ذلك.»

فقال: «اتراك كنت في اعماقك تتمنين ان اكون من عدم التهذيب بحيث ارغمك على مشاركتي غرفة نومي ليلة عرسنا، بعد الذي اعلنته في ذلك الحين؟»

فشهقت قائلة: «ولكنك منذ دقائق فقط كنت تتحدث عن... عن...»

فقال: «كنت اتحدث عن شيء مختلف تماماً...»

قالت وهي تنظر إليه متحدية: «انني، شخصياً لا افهم ما قلت.» فقال وهو يبتسم فجأة: «كنت اتحدث عن رغبتك الحقيقية بالنسبة لهذا الأمر. لا تبدي مثل هذا القلق، فأنا لن اقوم بهذا العمل، ليس الليلة على الأقل. ولكنني اريد ان اوضح انك وضعت نفسك، إلى حد ما، رهينة في هذه الحرب السخيفة التي تدور بيننا. هل بإمكانك ان تسكبي لي بعض الطعام من الإناء الذي على الموقد، ام افعل ذلك بنفسي؟»

فنهضت قائلة: «سأقوم بذلك... ولكنك يا نيكولاس،

حشرتني بهذا الزواج، ذلك انك اوضحت لي أنني، إذا لم اتزوجك فسأخسر كل ما املك حتى البيت الذي عشت فيه حياتي كلها. وقلت أنك ستقاضيني امام المحاكم سنوات طويلة لأجل مزرعة ستورم هذه التي هي كل ما املك، بينما تعيش انت في مزرعتك موركنغ التي ورثتها، وتبني مستقبلك الضخم.»

فقاطعها قائلاً: «هذا شيء متنازع عليه.»

فقاطعته بدورها: «لا تقاطعني، فليس الذنب ذنبي ان كان والدانا احمقين في اشتراكهما بامتلاك هذا المكان، وزاد على ذلك ان تخاصما معاً، ليتركانا في مثل هذه الفوضى...»

قال: «ان الحقيقة القاسية في هذا الأمر، يا جولي هي غير ذلك. ذلك ان مزرعتي ستورم وموركنغ متجاورتان، كما ان والدينا كانا صديقين. وعندما وقع والدك في ضائقة مالية، عرض عليه أبي مبلغاً من المال يصلح به حاله، وذلك في مقابل ان يشركه في ملكية المزرعة بشكل غير معلن. اما ما حطم صداقتهما فهو ان والدك بالرغم من الجرح الذي اصاب كبرياءه، وبالرغم من أن أبي كان يحاول ان ينقذ مزرعة ستورم، بقي والدك مصراً على ان استراليا لن تنهض إلا بإنتاج الأغنام فقط، وهكذا رفض كل اقتراح تقدم به أبي إليه بأن يجرب استثمارات اخرى غير إنتاج الأصواف.»

فعضت جولي شفتها ثم قالت: «لم اكن اعلم هذا.»

فرد عليها قائلاً بضجر: «كلا، وهذا ليس ذنبي، وإنما ذنب والدك ان تركك جاهلة ذلك، فبقيت على شعورك بأنك

الحاكمة لتلك المزرعة بصفتك جوليا برايت اوف ستورم، دون ان يخامرك الشك في انك وحدك صاحبة المزرعة دون شريك، خصوصاً انا. رغم انه مضى عليك وقت لم تكوني تمانعين فيه في علاقة شخصية معي يا جولي.» ولفظ الجملة الأخيرة وقد ضاقت عيناه، فاحمر وجهها قليلاً، واجابته قائلة: «إذا كنت تشير إلى تلك الأيام التي شببت انا فيها عن الطوق، ولم اجد تسلية سوى ان اتبعك اينما توجهت كلما كنت أنت هنا...»

فقال بلطف: «انني لا أشير إلى تلك الأيام في الواقع.»

فازداد احمرار وجهها وهي تقول بغضب: «إذا كان هذا هو انتقامك لأجل...» وسكتت فجأة.

قال: «كلا. إنه ليس انتقاماً. ليس منك على كل حال.»

فقالت: «إذن، اخبرني يا نيكولاس. ما الذي دفعك إلى القدوم إليّ بعد اسبوعين فقط من وفاة أبي، لكي تخبرني بأن انسب شيء لنا هو أن نتزوج؟»

فقال: «آه، انني اعترف بأن مزاياي الحسنة قد زلّت في ذلك الحين، فقد كنت انت في منتهى الكبرياء، كذلك تصورت المشاكل التي كانت ستحدث لو انك تزوجت شخصاً آخر قبل أن يسوّى الأمر. عليك أن تقري، يا جولي، بأنك تركت قلوباً محطمة في المنطقة، وأن سقوطك شخصياً كان مسألة وقت، إذ لا يمكننا إغفال قوامك الممشوق البديع التكوين، وجمالك الذي يبهر البصر.» وهز كتفيه وهو يقول: «طبعاً، هذا لا يعني أن هذا وحده جعلني لا أمانع في الزواج منك، وإنما لأن ثمة اشياء كثيرة تجمعنا.» وجالت عيناه في انحاء الغرفة الرائعة الجمال وهو يتابع قائلاً: «وهذا يبسّط الكثير من الأمور.»

فقالت: «ان ما يدهشني فقط هو نظريتك عن النساء وإمكانية ترويضهن كما تروض الجياد...»

قال: «نعم، بشرط ان يكن صغيرات السن. حتى ولو كان والدك قد اتلفك بالتدليل.» وهز كتفيه دون مبالاة وهو يقول: «إلى متى نبقى دون طعام، يا جولي؟ لقد سبق وتحدثنا في هذه الأمور من قبل، كما انك قبلت عرضي للزواج، وهذا في رأيي، يجعلنا على قدم المساواة اخلاقياً. كما انك سبق وذكرت انني كنت هددتك بالفقر، مع أنني كنت عرضت عليك شراء حصتك، وهذا لا يسمى فقراً ابداً يا عزيزتي.»

قالت: «ولكنني لم أشأ ان أبيع. لقد قررت النضال في سبيل إرثي بأية طريقة استطيعها. لقد دفن جداي هنا، وكذلك أمي، وأبي الآن، فأنا اعشق كل فدان من هذه المزرعة. وأحياناً، يبذل الانسان غاية وسعه في سبيل الاحتفاظ بما يحب. هذا إلى أنه خطر لي انك ستجد ان تجريد زوجة مما تملك هو شيء غاية في الصعوبة.»

قال: «زوجة؟ نعم يا جولي. ولكن هنالك أشياء معينة عليك أن تقومي بها لكي تكوني زوجة حقيقية.»

قالت: «ان المسألة لا تعدو أن تكون مجرد اختلافك معي في الرأي. وهذا هو السبب في انك لم ترغمني على مشاركتك غرفة نومك. ذلك انك تريد ان تحتفظ لنفسك بحق الاختيار، أليس كذلك؟ هذا بينما الفسخ على اساس عدم اكتمال الزواج قد يعطيني الحق في جزء مما تملك. إنه فقط اختلاف في الرأي.»

استند إلى الخلف ونظر إليها قائلاً: «اتراك ستكذبين في أمر كهذا، يا جولي؟»

فأجابت: «ربما، إذا تعلق الأمر بك. ثم لا تنسى صبري على عرض حبيبتك لنفسها بالقرب من منزلي. من يدري ما الذي قد تدفعني تصوراتي إلى القيام به بهذا الشأن؟ أين هي فيرا الآن، بالمناسبة؟»

أجاب: «لقد عادت إلى موركنغ، ثم انها ليست حبيبتي.»

قالت: «انها إذن متلهفة لكي تكون كذلك.»

فقال: «انها مجرد موظفة، مساعدتي الخاصة المسؤولة عن خيول السباق في مزرعة موركنغ كما تعلمين جيداً، وهي ممتازة جداً في عملها، وهذا هو كل شيء. ما الذي جعلك تظنين انها طامحة إلى الشيء الذي تتهمينها به؟»

أجابت: «ربما عليك ان تكون امرأة لكي تدرك ذلك، ولكنني كنت اظنك تلاحظ الطريقة التي تنتقدني هي بها.»

فقال: «انك احياناً تعرضين نفسك للإنتقاد.» فضحكت وهي تستدير لتملأ طبقه بالدجاج والليمون وبجانب ذلك الأرز، وهي تقول: «ربما كان هذا صحيحاً. ولكنها تظهر بوضوح قناعتها بأنك مجنون إذ تزوجت مني، أما بالنسبة لموضوع الحبيبة...» ووضعت الطبق أمامه وهي ترى نظراته منصبة على كل حركة تقوم بها، ثم عادت تقول: «انك في سن الثلاثين ولا بد أنه كان لديك العشرات منهن. فأنت رجل ناجح، متفوق. ألم تستطع واحدة منهن ان تغريك بالزواج منها؟» وجلست تتناول طعامها، ثم ناولته طبق السلطة وهي تتابع قائلة: «مثلاً، جنيفر سوارد. إنني متأكدة من أن الكثيرين كانوا يظنون انكما ستتزوجان حتماً.»

وعندما ظنت أنه لن يجيب، قال: «وكذلك ظننت أنا ذات يوم.»

فسألته: «وماذا حدث؟ أتراها لم تكن تملك شيئاً مغرياً مثل نصف مزرعة ستورم لتقدمه لك؟»

أجاب: «ان لها... اسبابها الخاصة.»

قالت بازدراء: «لا يبدو عليك الأسى لذلك.»

فقال باسماً: «ان الانسان يعيش ويتعلم كما أظن يا جولي.» وسكت برهة عاد يقول بعدها: «بالنسبة لمشاعرنا بالنسبة لمزرعة ستورم، وحيث أنني اعترف بأن مشاعري نحوها لا تماثل مشاعرك من ناحية الحب والتعلق بها، فإنها بالغة الأهمية بالنسبة إليّ... وحيث ان اهتماماتنا القلبية تجتمع فيها، فهل ترين من الصعب علينا أن نبعث الحيوية والحياة في زواجنا هذا؟»

ففكرت لحظة طويلة قبل أن تقول بشيء من الكآبة: «ان هذا يبدو كالطلب من بلد ان تحب غازيها. لا أظن هذا ممكناً. أعني انك من ناحية أخرى، لا تحترمني... هذا واضح مادمت تعتقد ان علاقة زوجية معي بشكل عادي تكفي لكي اكون سعيدة...»

فقاطعها قائلاً: «هنالك فرق بين العلاقة الزوجية الحميمة العادية والعلاقة التي تشيع الرضى.»

فرمقته بنظرة جانبية وهي تقول: «ما اشد ثقتك بنفسك يا نيكولاس. ولكنني مازلت في نظرك مجرد فتاة طائشة كغيرها، أليس كذلك؟»

أجاب: «أظن جمالك الرائع هذا قد افسده والدك بالتدليل، ولكنك بالتأكيد، لم تحاولي تبديد تلك الصورة يا جولي.»

فألقت عليه نظرة مترفعة وهي تجيبه بقولها: «ربما كان هذا صحيحاً، ولكن ليس هذا كل شيء عني. فأنا مثلاً، اعلم

كل ما يتعلق بستورم وإدارتها. وإذا كان للشاب الحق في العبث والطيش، فلماذا لا يسمح للفتاة بالمثل على كل حال؟»

فوضع الشوكة والسكين من يده وأخذ يحدّق فيها فترة طويلة قبل أن يرفع عينيه فتلتقيا بعينيها، لتحتل عينيه بعد ذلك نظرة غامضة وهو يقول: «لقد سبق واخبرتك أن ما مضى قد أصبح مجرد تاريخ. اعني مجموعة معجبيك ومجموعة معجباتي. ومن سوء الحظ أنه اصبحت لديك عادة إرسال إشارات لا تخطىء... وربما كنت محقة بما قلته عن السيد ريد وبما قد يكون ظنه فيك الآن.»

فقطبت جبينها بينما عاد هو يقول بلطف يخفي التهكم: «اترينه لم يبتلع الطعم؟»

فنظرت إليه بازدراء وقد ضمت شفتيها، ولكنه ضحك بهدوء وهو يتابع قائلاً: «هنالك شيء آخر، يا جولي، في حالة ما إذا كنت لم تفهمي الرسالة، وهي أنه ليس لك سواي إذا أنت شعرت بالضيق والإنزعاج من العزوبة. تذكري هذا.»

فانفجرت فيه قائلة: «وماذا بالنسبة إليك انت؟ لا اظنك تتوقع مني أن اصدق أنه ليس لديك سواي.»

فقال: «حسناً، هذا صحيح، ليس لديّ سواك، فضعي ذلك أيضاً في ذهنك يا عزيزتي. ولكنني لا أظن ان العزوبة ضمن الحياة الزوجية ستناسبني إلى الأبد.» ووقف وهو يتابع قائلاً: «ثم انك تعلمين يا جولي، انك رغم ثقتي بمقدار عشقك للمزرعة، ستورم، فإنه ليس من المعقول ان تتمكن فتاة مثلك في العشرين من عمرها، من ادارتها، وكذلك ليس ثمة طريقة

كنت ستتمكنين فيها من ادارتها دون مبلغ من المال في يدك لهذا الغرض. كما أن ستورم قد اصبحت، بالنسبة إلينا نحن آل ويلز، تسلية مكلفة.» وسكت يراقبها إذ تنظر بعيداً، لدى سماعها كلامه، وقد بدا الشك في نظراتها، ثم تابع يقول برقة: «ولكنك قد اصبحت، بهذه الطريقة، سيدة المزرعة. وإذا كان لديك من العقل ما اعرفه عنك احياناً، فإنك ستدركين انها اصبحت في أيدٍ أمينة. إنني بالمناسبة سأخذ اسبوعين إجازة عمل، ثم نقيم حفلة منزلية اثناء العطلة الأسبوعية المقبلة. وقد تكونين في حاجة إلى من يساعدك للقيام بذلك. تصبحين على خير.»

بعد ذلك بساعتين، دخلت جولي غرفة نومها ثم اغلقت الباب خلفها.

لم يكن في المنزل أي خدم وذلك تبعاً للنظام التقشفي الذي كان والدها وضعه قبل وفاته. وكانت جولي قد قطعت في الواقع دراستها لنيل بكالوريوس في الآداب لكي تعود إلى البيت للعناية بوالدها، وذلك منذ ستة أشهر، وبعد زواجها، ذلك الزواج الشاذ، صممت على ترك المنزل بهذا الشكل. ثم انها قد اكتشفت ان اهتمامها تحول من مسألة اخذهم ستورم منها، تحول بالرغم منها إلى ما قرره نيكولاس، من أن يزرعها بالحبوب، وإلى ملئها بقطعان الأغنام التي مازالت ترعى في آلاف الأفدنة في المناطق النائية، ولم يترك لها هذا سوى جيادها لتشغل نفسها بالعناية بها، ومهرتين حاملتين وحصانين للتأجير. ولم تكن العناية بكل هذه الحيوانات تأخذ منها وقتاً طويلاً.

كانت تتردد عليها يومياً امرأة لتنظيف المنزل وشخص للعناية بالمدافىء، ولكن الذي ادهشها هو أن تلحظ في نفسها الاستمتاع بالطبخ والعناية بالحديقة، وذلك في الأيام الأخيرة من حياة والدها.

وتنهدت فجأة وهي تحمل بيدها صورة لوالدها في إطار فضي كانت على منضدة الزينة. ليس المهم ما كانت قد لاحظته على أبيها قبل وفاته مثل أنه يصلح فقط لأن يكون سيداً مرفهاً وليس صاحب مزرعة، ولا ما كانت اكتشفته بعد موته من أنه حاول إنقاذ المزرعة ستورم من الإفلاس بواسطة المراهنة في سباق الخيل... المهم هو انها بقيت تحبه رغم هذا كله، ومازالت تفتقده بعد وفاته بثلاثة شهور، بشكل لا يحتمل. كان حبه لها دون حدود، فقد علمها كل ما كان يحبه هو، ومن ذلك ركوب الخيل والصيد، وصيد السمك، كما علمها كل ما يتعلق بالفنون والموسيقى، واخذها معه في اسفار بعيدة إلى بلاد اجنبية، وعلمها كيف تختار ملابسها. لقد دللها كثيراً، ولم يحضر لها زوجة أب بعد وفاة والدتها التي لم تكن هي تتذكرها. وكانت قد لاحظت أنه لم ينس أمها قط، وأنه فقد بعدها اهتمامه بكثير من أمور الحياة ومن جملتها مزرعة ستورم.

كما انه ارسلها إلى مدرسة خاصة غالية جداً حيث كانت المسؤولة الرئيسة من قوة الذهن والمراس ما امكنها به التعامل مع طفلة مثل جولي دون أم، مبكرة النضج، كثيرة الشغب، وذلك رغم المعارك العنيفة التي دارت بينهما منذ وضعت جولي في عهدتها وهي في التاسعة والنصف من سنها. وقد بقيت هناك إلى أن بلغت السابعة عشر والنصف

حيث افترقا، يجمع بينهما الاحترام والمودة المتبادلة رغم كرههما إظهار ذلك صراحة.

وتساءلت جولي وهي تتأمل وجه أبيها الوسيم، عما إذا لم يكن يدرك قط ما كانت تعنيه ستورم لها قبل أي شيء آخر، حتى في أيام عبثها حين كانت تحكمها وتحكم كل شيء. ولمعت عيناها لحظة قصيرة. حتى في تلك الأيام كانت تتشوق إلى العودة اكثر من أبيها. هل كان يجري في عروقها دم جديها الاسكتلنديين اكثر مما كان يجري في عروقه؟ كانت تربط بينها وبين هذه الأرض صلة روحية اقوى من أي صلة مادية. ألم يكن يعلم أن جوليا برايت الشجاعة المتألقة، حبيبة المجتمع، كانت في الحقيقة، وحيدة خائفة من دونه ودون المزرعة ستورم؟ ولكنه كان يعلم مبلغ حبها للمزرعة، ايمكن أن يكون هذا هو السبب في أنه لم يخبرها قط بأنه باع نصفها لوالد نيكولاس؟

خلعت حذائها وتكورت على الكرسي الكبير المخملي الوردي اللون امام المدفأة، حيث اخذت تحدّق في اللهب المتصاعد وفي عينيها نظرة شاردة. كان صحيحاً، وهو ما يدعو إلى السخرية، انها كانت تشعر في طفولتها نحو نيكولاس ويلز بنوع من عشق البطل. وكان صحيحاً ايضاً ان نيكولاس، دون شعور منها، كان المثل الأعلى لديها أثناء سني المراهقة. فكانت تقارن به كل فتى تتعرف إليه، وذلك دون وعي منها، لتجد أغلبهم ينقصهم الكثير ليكونوا مثله. وقد دفعها هذا، كذلك، بعد أن تركت المدرسة واجتمعت به في عدة مناسبات اجتماعية، دفعها إلى أن تعامله بغطرسة وبرود، وذلك لرغبة منها في أن يلحظها.

وتمتمت بشيء من المرارة وهي تشعر بوجهها يتوهج أنه قد لحظها حقاً، مع أن الإشارة الوحيدة التي ابداها نحوها حينذاك هي ومضة تهكم كريهة ظهرت في عينيه... لشد ما تكرهه الآن!

أخذت تتنفس بسرعة، إنما ساورها شعور هو مزيج من الاضطراب والشعور بالذنب. لماذا لم تضغط على أبيها لكي يخبرها بالسبب في هذا التصدع الذي حدث بينهم وبين آل ويلز، رغم كراهيته للحديث في ذلك الموضوع؟ وعادت تخاطب نفسها بأنها حاولت ذلك فعلاً. وهي تعرف الآن أنه لم يستطع أن يحمل نفسه على اخبارها بما كان يجري... وبأن قيام آل ويلز بتربية خيول السباق في مزرعتهم بنجاح باهر قد جرح كبرياءه بعنف. ولكن لماذا لم تدرك هذا في ذلك الحين؟ ثم ما كان قاله من أنهم لم يعودوا في مستوى آل ويلز، ما جعلها تشمخ بأنفها، وكانت النتيجة أن جعلت نفسها تبدو بالغة السخافة حين عاملت نيكولاس بذلك الشكل. ولكن، هل حقاً أساءت إليه بتصرفها ذاك إلى الحد الذي جعله ينتقم منها بهذا الشكل؟ فيتزوجها دون حب لكي يستولي على المزرعة بأكملها؟ وتملكتها التعاسة وهي تتساءل عن كل هذا. وعادت تحدث نفسها بأنها لم تره مرة قط إلا وبرفقته امرأة جميلة، أو وهو يقوم بعمل مميز مثل لعب البولو أو الإبحار في يخته الخاص، وطبعاً وهو يعمل بنجاح في تكوين مستقبله.

وفكرت باكتئاب كيف أن نيكولاس اعاد بناء صناعة السروج المنهارة ليجعل منها قصة نجاح باهرة عمت البلاد... فمزرعة موركنغ الآن لا تنتج الخيول فقط، وإنما

اصبحت تنتج افخر انواع السروج بحيث اكتسبت سمعة دولية وكذلك انتاج كل ما يتعلق بالخيول، وكذلك ملابس الركوب واحذيته الخ... لقد كان نيكولاس ماهراً حقاً، ليس فقط بالنسبة إلى الخيول... ثم هنالك عشر سنوات فرق بين عمريهما.

ونهضت تسير في أنحاء الحجرة وهي تتمتم غاضبة: والآن، ماذا؟ والتقطت فرشاة شعرها الفضية وأخذت تقلبها بين يديها. ثم توقفت ناظرة إليها، واضعة اصبعها على حرف (و) المنقوش عليها، ثم نظرت إلى صورتها في المرآة بعينين جامدتين وقد تذكرت ما قاله لها حين عرض عليها الزواج. لقد قال: حتى إننا لن نغير من الدمغة، وهذا بالتأكيد يثبت الإجراء العملي هذا.

وارتجفت فجأة وهي تتذكر كيف قبلت بذلك في غمرة الإضطراب والذعر اللذين انتاباها. ثم وفي ليلة زفافها حين ازداد ذعرها، ألقت إليه بقرارها ذاك، معلنة فيه بلهجة مسرحية بأنها لن تشاركه غرفة نومه ولن تقترب منه أبداً بإرادتها. اتراها كانت، في الواقع فاقدة لاتزانها بسبب ما مر بها من ألم وأحداث؟

الفصل الثاني

«إنني بحاجة إليك، يا نيكولاس...»

قال: «حسناً، حسناً... اترى محاضرتي الصغيرة جعلتك تفكرين بالأمر، يا عزيزتي جولي؟»

فأغمضت عينيها وقالت: «أريد أن اتحدث اليك عن هذه الحفلة.»

كانت خارجة من المطبخ حين رأته امامها، في ذلك الصباح البارد. واجابها قائلاً: «آه، فلنتكلم إذن أثناء تناولي الإفطار.» وكان من عادتها أن تتابع طريقها، ولكنها اضطرت للعودة معه إلى المطبخ حيث كان إفطاره مازال ساخناً بجانب الموقد. كان يرتدي بنطال جينز وكنزة صفراء وحذاء طويلاً، وكان شعره القاتم الكثيف مشعثاً. وبكلمة أخرى، كان يبدو خشناً قوياً مقتدراً مليئاً بالحيوية، إلى شيء من السخرية، ما جعله بعيداً عن أن تكون نداً له. ولكنها تساءلت بمرارة، متى بدا مختلفاً هذه الأيام عن مظهره هذا؟

قال وهو يحمل طبق السجق والبيض والخبز إلى مائدة المطبخ: «لقد كنت اجول في الأنحاء خارج المنزل.»

فتقدمت جولي من إبريق القهوة حيث سكبت فنجانين لهما، ثم جلست قبالته قائلة: «ان بإمكانك أن تخبرني، فأنا لست فقط مازلت املك نصف المزرعة، وإنما مازلت مهتمة بالأمور. ألست املك رأياً بالنسبة إلى بعض الظروف

العادية، أو في أي شيء تقوم به؟» ولم تستطع أن تخفي لهجة الإحباط في صوتها.

أجاب بلطف: «كنت فقط اتفقد السياج في مرعى الاثني عشر ميلاً يا جولي، ولم اصدر أي قرار هام بهذا الشأن عدا عن أن السياج بحاجة إلى اصلاح.»

سحبت نفساً طويلاً وهي تتصور مقدار المتعة التي كانت تستشعر بها لو أنها كانت ركضت هذه المسافة قبل الإفطار بدلاً من تلك الرحلة القصيرة على ظهر الجواد والتي كانت على وشك القيام بها وحدها ودون هدف. وسألته: «ماذا بالنسبة إلى كوخ الفرسان القائم على الحدود؟ لقد كان منهاراً قليلاً في آخر مرة رأيته فيها. لقد كان جدي يحرص دوماً على وضع المؤن فيه واصلاح سقفه فلا يتسرب منه المطر. فإذا رأيت وضع من يعتني به هناك...»

قاطعها قائلاً: «وذاك أيضاً. لقد ابتدأوا به اليوم.»

فخفضت اهدابها قائلة بجمود: «حسناً، اخبرني عن الحفلة المنزلية. انك لم تمنحني فرصة كافية لذلك.»

قال: «سأرسل شخصاً يتولى الأمر إذا شئت. لقد ذكرت لك ان لا حاجة بك للقيام بكل شيء بنفسك، يا جولي.» وأخذ يمسح الخبز بالزبدة بشيء من الضجر.

فقالت: «لقد سبق واخبرتك أن بإمكاني القيام بكل شيء، ولا أريد أن اشعر بأنني تحت رعايتك.»

ابتسم وهو يجيبها: «أؤكد لك أن تزويد الرجل لزوجته بمن يساعدها في عمل المنزل، لا يعني أنه يعتبرها تحت رعايته.»

قالت: «ولكننا اتفقنا على انني لست زوجة حقيقية.

اسمع، ان بإمكاني تدبر الأمر. إنني سأستدعي السيدة لايت وأختها للحضور كما سبق وفعلت بالنسبة إلى ستورم.»

فقال بإيجاز: «افعلي ذلك إذن. ما الذي تريدين معرفته؟»

فأجابت: «أريد أن اعلم متى سيحضر الضيوف، ومتى سيرحلون، ومن هم. ثم ما هي تصوراتك عن نوع العطلة الأسبوعية.»

فأجاب متهكماً: «إنه نفس نوع العطل الأسبوعية المشهورة بها ستورم فليس لي أن اصفها لك. أما المدعوون فسيكونون أربعة بالإضافة إلى فيرا.»

حدقت به، ثم أرغمت نفسها على الإسترخاء وهي تقول: «حسناً، إذا هم جاؤوا بعد ظهر الجمعة، فستقدم عشاءً غير رسمي عبارة عن مقصف، إلى سهرة بسيطة نسمع فيها الموسيقى ويتسلى فيها الضيوف بلعب الورق وما أشبه. ويوم السبت نقوم بنزهة حول المنطقة، ثم نمضي بعض الوقت في لعبة إصابة الهدف، أو الرماية، ثم لعبة كروكيت هادئة للسيدات. ثم عشاء رسمي، حيث يمكنني أن أدعو إليه بعض الجيران. نعم، يمكنني أن أدعو آل كاندي، وأيضاً روبرت نيل. ثم صباح الأحد يقدم الفطور متأخراً، وبعد ذلك تكون لهم الحرية في تمضية وقتهم إلى أن يرحلوا بعد الغداء.»

فسألها: «وهل بإمكانك والسيدة لايت وأختها القيام بكل ذلك؟»

فهزت كتفيها تجيبه: «انهما ستتقاسمان العمل بينهما، لايت تقوم بالطبخ، وقد انجزت تحضير الكثير منه مقدماً، بينما أختها تصلح من الأسرّة، وتنظم الأمكنة، وتخدم على طاولة الطعام وما إلى ذلك. كل شيء قيد التجهيز، يا

نيكولاس. وما دمت تحسن اطعام الضيوف، فكل شيء سهل.»

فقال: «ولكننا مازلنا في يوم الثلاثاء، يا جولي.»

فقالت: «وهذا يمنحني فرصة ثلاثة أيام. هذا إلى أنني بحاجة إلى إثبات ذاتي.»

فنظر إليها بهدوء ثم قال: «انك تجعلين الأمور غاية في الصعوبة بالنسبة إليك، يا جولي.»

فأجابت: «بل أنت التي تجعلها صعبة بالنسبة إلي.»

قال: «إنني لا أحب الإطالة في هذا الموضوع. ولكنك لولاي لما كنت هنا.»

قالت: «ربما. ولكن ربما كنت نزلت في صراع عادل معك... من يدري؟»

فسألها قائلاً: «وكيف ستجعلين تصرفنا معاً أمام أولئك الضيوف؟»

فضحكت قائلة: «لم افكر في ذلك بعد. اتعني ان علينا أن نبدو كزوجين حبيبين؟»

فأجاب: «ليس هذا شيئاً غير عادي بالنسبة لعروسين.»

فقالت: «آه...»

فقال: «وأنا لا أريد أن أبدو بمظهر المغفل.» كان يتكلم بلهجة عادية، ولكن كلماته كانت تتضمن معنى خفياً جعلت اعصابها تتوتر. ربما كان السبب شيئاً ما بدا في عينيه وهو ينظر إليها.

ففتحت فاها، ثم اقفلته، ثم عادت تقول بترفع: «إن هذا ليس ضرورياً... اعني انني اعرف اشخاصاً متحابين حقاً، ولكنهم لا يتباهون بذلك امام الآخرين.»

فأجاب: «هذا صحيح، ولكن ما أريد أن اعرفه هو ما إذا كنت مستعدة للتصرف بتعقل، أم انك ستقومين بما قمت به أمس لكي تعلني للعالم أننا غير متحابين.»

فزمت شفتيها امتعاضاً، ثم قالت: «إنني سأتصرف بشكل طبيعي، ثم اترك لهم ان يفهموا ما يشاؤون. لا اظنك تتوقع مني اكثر من ذلك، يا نيكولاس.»

قال: «ماذا تعنين بقولك بشكل طبيعي؟ هل تعنين استغلال جانبيتك المعتادة؟»

أجابت بحدة: «انني لا افعل ذلك.»

فقال: «ربما أنت لا تدركين ما تفعلين. ألم تري كيف أوشك انطوني ريد على السقوط أرضاً عندما ابتسمت له أمس؟»

قالت بينما كان يأخذ صحنه الفارغ إلى حوض الغسيل: «ليس لي حيلة في طريقة ابتسامي.»

قال: «هذا صحيح. ولكن مع شيء من النضج والحكمة يمكنك القيام بذلك بحرص وحذر. وإلا فستجدين نفسك يوماً في وضع قد لا يمكنك مجابهته.»

فرفعت رأسها وهي تقف دون أن تكون لها أية فكرة عما يدور في رأسه وهو يعود إلى المائدة فيقف أمامها قائلاً، بينما عيناها تتسعان عن آخرهما: «في وضع كهذا حيث يلاطفك أكبر عدو لك.»

فصرخت: «نيكولاس...»

ولكنه تجاهل صرختها هذه، وكذلك تلك النظرة في عينيها، حتى لم تعد تعرف ما عليها أن تفعل. فقد كف ذهنها عن التفكير.

وعندما رفع رأسه أخيراً، ونظرت في عينيه، ثم جلست على الفور. فقال وهو يتكىء على جانب المائدة عاقداً ذراعيه فوق صدره: «يبدو عليك الإستياء إذن؟»

فقالت: «ربما تعبت من اطلاق الناس عليّ لقب المرأة المدمّرة. فإذا كان هذا تحذيراً من ذلك النوع الذي اصدرته إليّ أمس...»

فقاطعها قائلاً: «بل كان تحذيراً لك لكي تلاحظي تصرفاتك أثناء العطلة الأسبوعية القادمة، يا جولي.»

فقالت وقد بدت في عينيها نظرة عميقة حازمة: «استمع إليّ، يا نيكولاس!»

قال: «بل أنت التي تستمعين إليّ. بإمكانك ان تتشاجري معي بقدر ما تشائين عندما نكون بمفردنا، ولكن ليس امام الناس. لأنك إذا انت فعلت ذلك فلن اسكت، صدقيني، وذلك بطريقة لن تعجبك أبداً، بطريقة تجعل شجارك يبدو كلعب اطفال. هل هذا مفهوم؟»

وعندما تركها نيكولاس وخرج، بقيت هي في مكانها وهي تحدق في فضاء الغرفة وقد استغرقت في تفكير عميق مالبث أن اخترقه صوت السيدة لايت قائلة بمرح: «صباح الخير يا سيدة جولي.» وتابعت وهي تضع رزمة على المائدة: «هذه هي الملاءات التي كانت بحاجة إلى الرتق.»

فقفزت جولي واقفة وهي تقول: «آه، شكراً يا سيدة لايت. آسفة لشرودي فقد كانت افكاري بعيدة عن هنا ميالاً. كيف حالك؟»

فأجابت: «إنني بخير يا حبيبتي. إلى أين تلك الأميال البعيدة؟» واخذت تسكب لنفسها فنجان قهوة. فقطبت جولي

حاجبيها قائلة: «هل تقومين بأي عمل في عطلة الأسبوع القادمة؟ أنت واختك؟»

فأجابت: «كلا. هل ستقيمين حفلة؟»

فقالت جولي: «نعم، وأريدها أن تكون غير عادية، يا سيدة لايت. انتظري فسأحضر ورقة وقلماً.»

وسواء جاء الأمر عفواً، أم كان عن سابق عزم وتصميم، فقد بقي نيكولاس مبتعداً عنها أثناء الثلاثة أيام التالية والتي كانت حافلة بالعمل، رغم أنهما كانا تقابلا على مائدة الإفطار صباح الأربعاء. لقد قال لها حينذاك بعد تحية جافة أجابته عليها بنظرة باردة وتمتمة لا تكاد تسمع، قال: «إن على ذقنك لطخة قذرة يا جولي.» وهذه المرة أجابته برفعها حاجبها وهز كتفيها، ما جعله ينظر إليها بعينين ضيقتين ثم يترك الموضوع. ولكن ما أن مرت به فيما بعد، حتى أوقفها وقال: «هل أنا الذي فعلت ذلك؟»

فأومأت برأسها بخفة. أخذ ينظر متفحصاً إلى الكدمة الباهتة الزرقة. ثم انتقلت نظراته إلى بشرة وجنتيها النضرة، وعينيها البنفسجيتين بأهدابهما الطويلة الداكنة اللون، والخصل المتناثرة من شعرها الذهبي على جبينها، ثم قال: «إنني أعتذر. لم اكن أعلم أن بشرتك تصاب بالكدمات بمثل هذه السهولة.»

فقالت: «ان بشرتي لا تصاب بالكدمات بسهولة، ولكنك لا تعرف مدى قوتك، أو ربما تعرف.»

فلوى شفتيه قائلاً: «الذي لا أعرفه هو شخص بمثل عنادك. واظنك الآن اضفت إلى قائمة صفاتي السيئة عندك، صفة المتوحش القاسي.»

فتمتمت ببرود: «أن بعض تهديداتك السالفة لي جعلتني لا أشك بذلك. هل يمكنني الذهاب الآن؟ إنني مشغولة جداً.»

سألها: «كيف تسير الأمور بالنسبة إلى الحفلة؟»

أجابت: «كل شيء على مايرام.»

قال برصانة: «اتحتاجين إلى معونة؟»

فألقت عليه نظرة حافلة بالمعاني وهي تجيب: «كل ما عليك أن تفعل هو أن تبقى هنا، يا نيكولاس.»

فقال: «إنني لم اخبرك بعد عن اسماء القادمين... عدا عن فيرا.»

فهزت كتفيها قائلة: «لقد اتصلت بفيرا بنفسي وأخذت منها كل المعلومات. انهم رجلان وامرأتان. ولقد اخبرتني فيرا أيضاً انهم قد يتوقفون في مزرعة موركنغ أثناء قدومهم إلى هنا لمعاينة الأمهار، وقد يفكرون بشرائها في سوق بيع الأمهار القادم في سيدني، لقد قالت ذلك بلهجة ذات معنى، يا نيكولاس، وكأنها تريد أن تقول لي (حاولي أن لا تفسدي الأمور يا جولي بتصرفاتك، إذا كان هذا بإمكانك.) كما أنها قدمت إليّ بعض الاقتراحات التي تساعد على...»

فقاطعها هازلاً: «انك ستحيدين عن عادتك في سبيل أن تتجاهلي هذا.»

فقالت وقد لمعت عيناها: «سأفعل ذلك في الحقيقة.» وتذكرت نصيحة سابقة لفيرا ضمنتها حكمة سائدة تقول إنه قد يكون من الأفضل ترك الأمور تجري في مجراها الطبيعي، وتابعت تقول: «لا أدري كيف بإمكانك احتمالها.»

فقال: «لقد سبق واخبرتك انها بالغة المهارة في عملها.»

فقالت: «لا بد ان لديها عقدة الاستعلاء. هل هذا هو السبب

في انسجامكما معاً؟» ألقت هذا السؤال ببراءة، ثم تابعت بفروغ صبر: «هذا إلى أن ليس من الضروري معاملة المرء كصديق، لمجرد أنه ماهر في عمله.»

فأجاب وقد احتلت عينيه نظرة باردة: «ان فيرا، في الواقع تمثل الأمرين معاً، يا جولي. فمنذ انتقلت أنا للسكن معك في ستورم لكي تبقي انت في بيت اجدادك، اصبحت متفانية في الاهتمام بخيول السباق ومجموعة الأمهار، وذلك اكثر مني أنا، فهي ستكون هنا بصفتها ذات إمكانية فائقة في العمل.» وسكت لحظة ثم عاد يقول بنفس تلك النظرة الباردة في عينيه: «لا تضايقي فيرا، يا جولي، ربما تؤذي مشاعرك وتغضبك، ولكن ذهنها بالنسبة إلى الخيل، كالكمبيوتر... فرأيها بهذا الشأن بالغ الصواب.»

فقالت: «في الواقع، أنا اصدقك يا نيكولاس. حتى انني أرى شكلها يشبه الحصان نوعاً ما... حصان كستنائي اصيل، رائع القسمات طبعاً.» وارتسمت على فمها ابتسامة عريضة وهي تتابع قائلة: «أما بالنسبة إلى مضايقتي لها، فأنا اتمنى لو تخبرني كيف اقوم بذلك، لأنني لا أرى هذا ممكناً.»

فتبادلا النظرات... ووجدت جولي شيئاً من الصعوبة في تجنب نظراته أو في فهم السبب الذي جعلها تشعر فجأة بالتفاؤل نوعاً ما. وأخيراً قالت: «آه، لا بأس! لن اضايق فيرا مادام بإمكاني ذلك، من الناحية الإنسانية على الأقل.» فلم يزد عن أن قال: «هذا حسن.» ثم ابتعد عن طريقها.

فسألته: «أأفهم أنك تأذن لي بالانصراف الآن؟»

فأجاب: «لما لا؟»

فقالت: «لشد ما تغيظني أحياناً، يا نيكولاس. حرصكما انت وفيرا، على إخباري دائماً عما عليّ ان افعله وأن لا أفعله، كل هذا سيجعل عدم انتهاء هذه العطلة الأسبوعية بكارثة... بمثابة أعجوبة...» وسكتت وقد بان عليها الإزدراء.

فقال: «ولشد ما يستحيل عليّ أحياناً، يا جولي، ان اخبرك شيئاً... ان انتهاء عطلة الأسبوع هذه بكارثة، لن تجعلني سعيداً... فإذا كان لديك أي توقع بذلك فاخبريني منذ الآن.»

قالت: «إنني لا...»

فقاطعها بجفاء: «أظن برهان كلامك سيتضح في النهاية.» وسكت يتأملها لحظة ثم عاد يقول وهو يرمق ثوب العمل الذي ترتديه، ثم ينقل نظره إلى شعرها الذي جعلته بشكل ذيلي حصان على جانبي وجهها، قال: «بالمناسبة، هل لك، من فضلك، أن لا تجعلي تسريحة شعرك بهذا الشكل عند حضور الضيوف؟»

فقالت: «ما الذي يمنع لو شئت ذلك على كل حال.»

فقال: «إنني سأتهم، عندذاك، بخطف الأطفال. إنصرفي الآن.»

فقالت: «ربما كان هذا صحيحاً.»

فقال ونظراته تخترقان ناظريها: «والآن، يا جولي، نحن الإثنان نعلم أن هذا غير صحيح.» فاحمر وجهها واستدارت مبتعدة عنه بغضب ودون أن تفوه بكلمة.

ومن حسن الحظ ان كان بين يديها ما يكفي من العمل يهدىء اعصابها ويرغمها على تركيز ذهنها فيه... وليس

هذا فقط، فقد كان هناك ما كانت تعرفه من انهما، نيكولاس وفيرا، كانا يرتابان في قدرتها كمضيفة، وعندما فكرت في هذا بهدوء، أدركت أنه حافز جيد لها لكي تريهما ما تستطيعه.

وعندما انتصف نهار الجمعة ظهرت ثمرة عملها وعمل السيدة لايت. فقد بدا المنزل نظيفاً لامعاً متألقاً تنتشر الأزهار في أنحائه، وكانت غرف الضيوف لا تشوبها شائبة. وقد امتلأت غرفة التبريد بمختلف انواع الفطائر والحلويات واللحوم الباردة والفواكه والخضر، إلى ثلاثة ديوك حبش سمينة كانت معلقة هناك جاهزة للشي عند العشاء الرسمي ليلة السبت.

وعند عصر ذلك اليوم وقعت كارثة تمثلت بمكالمة هاتفية من السيدة لايت التي كانت قد ذهبت لتحضر أختها.

قالت جولي تجيبها: «... والدتك؟ آه، إنني آسفة يا سيدة لايت... آه، طبعاً مادامت حالتها بهذه الخطورة، وأنا متفهمة هذا تماماً... نعم، لا بد انك وأختك في منتهى القلق وتريدان أن تكونا بجانبها... اسمعي، إذا كان هناك ما يمكنني المساعدة به، فأنا مستعدة...»

فأجابتها السيدة لايت: «ان لديك ما يكفيك، يا عزيزتي، لقد اجهدت نفسي بالتفكير في أمرك، وكل ماخرجت به من نتيجة هو إبنة أختي غريس. هل ارسلها اليك يا سيدة جولي؟ انها طاهية جيدة وأنا اضمن هذا، إنما هنالك مشكلة واحدة هي...»

فقاطعتها جولي: «ارجوك أن تفعلي ذلك. إنني سأكون شاكرة جداً. وللحقيقة وبينك، لقد قمنا معاً بأكثر العمل، أليس كذلك؟ والآن، ما هي تلك المشكلة؟»

فأجابت: «ان عليها أن تحضر معها ابنها مايك...»

فقالت جولي: «ولكن هذه ليست مشكلة.»

فقالت السيدة لايت: «ولكنني لم اخبرك عن مايك بعد. اسمعي، فقط... إذا انت عاملته بحزم سيستقيم أمره، ولكن أباه هرب من البيت عندما كان الصبي في الثانية من عمره... وهكذا غريس تعشق الأرض الذي يسير ابنها عليها.»

فقالت جولي: «لا تخافي، فأنا سأربطه إذا هو... كلا بالطبع يا سيدة لايت، فأنا لن افعل هذا. ولكنني واثقة من اننا سنتمكن من التصرف معه. أما الآن، فاهتمي فقط بأمك وابلغيها حبي... وسأفكر فيكن جميعاً.»

ووضعت سماعة الهاتف وهي تتنفس بعمق، وحينذاك تذكرت انها نسيت ان تسأل عن عمر مايك إبن غريس.

كان في العاشرة من عمره، وذا شعر أحمر وعينين زرقاوين بارزتين وأسنان ناتئة. وكان يمشي متمختراً ولا يجيب من يكلمه، وكان لأمه شعر اشقر باهت مشعث الشكل، وعدا ذلك كانت نظيفة أنيقة لائقة المنظر. وكان واضحاً انها تحاول أن تبذل جهدها للقيام بالعمل الذي يوكل إليها.

قالت لها جولي باسمة، وذلك قبل وصول الضيوف بنصف ساعة: «حسناً، يا غريس، أظن ان المهم هو أن لا تشعري بالخوف، كل شيء في المقصف هو إما يؤكل بارداً، وإما يسخن قليلاً فهذه الليلة ستكون غاية في البساطة. وسأزورك فيما بعد لأساعدك.» ثم أخذت تطلع غريس على مستلزمات المساء، ثم أرتهما غرفتهما وأرت مايك

التلفزيون، حتى انها اخرجت بعض كتبها القديمة وألعابها واحضرتها له.

فقالت أمه تبتسم معتذرة: «إنه غير مولع بالقراءة. ولكن من الجميل منك أن تتكلفي هذا العناء. والآن يا مايك، انك ستكون ولداً طيباً، أليس كذلك؟»

في الخامسة والنصف، كان الضيوف يحتشدون في الشرفة المستطيلة الجميلة ذات الأنوار المتلألئة، وكانت الأحاديث المرحة، تملأ جوها. وكانت جولي تستمتع بهذا كله رغم انصراف ذهنها إلى مكان آخر.

كانت ترتدي بنطالاً قرمزياً، وحذاء مسطحاً وكنزة بلون القشدة، ويغطي كتفيها شال رائع مختلط الألوان ما بين الأحمر والأخضر والتبني. وكان شعرها مسترسلاً، وقد توهج وجهها من جراء كلمات الإطراء والمديح التي كانت تنهال عليها، اكثرها بمناسبة زواجهما الحديث. وكان ضيوفها جميعاً اكبر سناً منها بطبيعة الحال. وكانت المرأتان تشبهان فيرا، فهما انيقتان وفي أواخر العشرينات أو أوائل الثلاثينات من سنهما، ولكل منهما عملها الخاص. ولكن عدا عن هذه النواحي فقد كانت تألف هذا الجو الذي كان أبوها دربها عليه، حتى انها كانت تتولى أمر حفلاته التي كان يقيمها في المنزل وهي في الثامنة عشرة من عمرها تقريباً. إنما إذا كانت هذه المرة لا تجد العون الكافي كالعادة، فإنها لن تدع احداً يعلم بهذا على الاطلاق، وخصوصاً نيكولاس. مع أنها انتبهت إليه مرة أو اثنتين، يحدق فيها وفي عينيه نظرة تأهب واستعداد، ولكنه ليس بقارىء للأفكار، كما طمأنت نفسها، وليس ثمة سبب يجعله

يدخل المطبخ هذه الليلة على أي حال. كانت تحدث نفسها أنها كلما تركته جاهلاً بالأمر، بينما هي تكافح بنجاح، كان ذلك افضل. كانت تريد اقناع نفسها بذلك على نحو غامض لم تكن تجد الوقت الكافي لمناقشته عقلياً.

وفي السادسة والنصف، وقفت تعلن للحضور ان يستعدوا للعشاء دون الحاجة بهم إلى استبدال ثيابهم. وتنهدت بارتياح وهم يصعدون إلى غرفهم، ثم توجهت نحو المطبخ لترى غريس واقفة في وسط الغرفة وقد بان الذعر والدموع في عينيها.

سألتها: «ما الذي حدث؟»

أجابت: «لقد خرج.»

فسألتها: «من هو الذي خرج؟»

أجابت: «مايك. ان من الممكن أن يذهب إلى أي مكان. إنه صبي ريفي، ونحن هنا انما نمضي إجازة فقط عند خالتي ليزا.»

فقالت جولي: «يا له من... هم،م،م... اهدإي يا غريس فسأفتش عنه... عودي الآن لتنهي عملك، فإن امامنا ساعة فقط للعشاء.»

وأخذ منها العثور عليه نصف ساعة. وكان في الغرفة الصغيرة التي تعلو الكاراج. ولم يبد عليه أي تأثر وهي تكلمه، برقة، عن فزع أمه وذعرها لأجله.

وقالت تحذره وهي تقوده إلى غرفته: «إن عليك الآن فقط ان تمكث هنا، وغداً يمكنك أن تخرج وتتفرج على الخيول. وسأجعلهم يحملونك في التراكتور بقدر ما تشاء... وسيصلك عشاؤك بعد لحظات.»

سألها نيكولاس: «هل أنت بخير، يا جولي؟»

فأجابت: «في أحسن حال يا نيكولاس.»

كانت بادية المرح وهي تراه واقفاً وحده في غرفة الجلوس، وعادت تسأله: «ألم ينزل منهم احد بعد؟»

أجاب: «كلا. هل كنت تركضين في مكان ما؟»

فأجابت ضاحكة: «كلا، لماذا؟»

قال: «يبدو عليك الإنزعاج قليلاً. هل تقوم السيدة لايت واختها بالعمل على مايرام؟»

فقالت: «كل شيء على مايرام. فقط لو أن لك بعض الثقة في شخصي لكان هذا اكبر عون.»

فقال: «هذا حسن جداً، يا جولي. آه، هو ذا أول ضيوفنا.»

انتهى المقصف بسلام وكثير من الإطراء، وبعد ذلك أخذ بعض الضيوف يعزفون على البيانو كما انخرطوا في احاديث شتى. ومالبث الرجال أن تقوقعوا معاً في ناحية من الغرفة، تاركين النساء في الناحية الأخرى. ولأول مرة يبدو على فيرا وكأنها لا تدري إلى أي فريق تنضم.

واغتنمت جولي الفرصة لتهمس في أذنها ترجوها أن تنوب عنها لحظة، لكي تطمئن هي إلى ان كل شيء خارج الغرفة على مايرام. وبدا الرضى على وجه فيرا وهي تمتثل لهذا الطلب.

وخارج الغرفة كان ثمة قصة أخرى. كانت غرفة الطعام قد أخليت ونظفت وكذلك المطبخ كان نظيفاً، وكان على المائدة صينية شاي ولكن لا أثر لغريس. وعلمت أخيراً أن المرأة كانت تمسح أرض حمام الخدم والممر المؤدي إليه

لأن مايك كان قد ملأ حوض الحمام بالماء وتركه يفيض على ما حوله، ذلك أنه كما قالت أمه، كان نسي الصنبور مفتوحاً بينما كان هو يتفرج على التلفزيون.

أغمضت جولي عينيها وهي تعد للعشرة، وعندما فتحتهما رأت مايك يراقبها باهتمام. يا له من وغد. والتفتت تسأل أمه: «أما آن له أن ينام؟»

وعندما عادت إلى ضيوفها كانت تكاد تتهالك من الأرهاق بعد أن امضت اكثر من ثلث الساعة تساعد غريس على مسح المياه عن الأرض، وكانت قدماها مبللتين داخل حذائها، كما شعرت بقطرات العرق تنساب في ظهرها، ولكن لم يبد على أحد أنه لاحظ ذلك، واستمرت الحفلة وأخذ المدعوون يرقصون.

وتمتمت تحدث نفسها: «تباً لذلك.»

ولكن محنتها انتهت بعد ساعتين، أو هكذا ظنت. وأخيراً انتهت الحفلة وصعد الضيوف إلى غرفهم وقد ظهر عليهم البهجة والرضى بهذه الضيافة في ستورم.

وتمتمت تحدث نفسها وهي تنظم القاعة: «أرجو أن تستمر الأمور هكذا إلى النهاية.» وكانت قد طلبت من غريس ان تنام لكي تكون صباح الغد في اتم نشاط، هذا أولاً، وثانياً لكي تمنع مايك، إذا هو بقي معها في المطبخ، من التسبب بمزيد من الشغب والإزعاج.

ولكنها بعد أن انهت كل شيء، وقفت وسط غرفة الطعام وهي تفكر في النسوة الثلاث في المنزل، باستثناء المسكينة غريس.

كانت تفكر فيهن بشكل ادهشها قليلاً، وبكلمة أخرى، من

منهن تصلح أن تكون رفيقة ملائمة لنيكولاس اكثر منها هي.

ولكن مالبث السخط أن تملكها... كيف يحق له أن يتحدث عن ابتسامتها الجذابة للرجال؟ ألم يلحظ ما كان يدور حوله من تلميحات، طوال السهرة، بالرغم من وجود امرأتين وزوجيهما... نعم كانت هناك تلميحات بالغة الحذر ولكنها كانت موجودة على الدوام بالنسبة إلى فيرا، وإذا كان هو لم ير ذلك فهو إذن أعمى. ليس هذا فقط، وإنما تلميحات خفية كانت تدور عنها هي أيضاً، طوال السهرة وذلك عن مقدار ملاءمتها لنيكولاس.

وقفت وسط الغرفة مستغرقة في افكارها، تتساءل عما إذا كان هذا من جملة الألاعيب التي يقوم بها الناس الأكبر سناً، والأكثر نضجاً، وعما إذا كان هو أيضاً يقوم بمثل ذلك... ثم عما إذا كان فقط يعلم مقدار تأثيره على الناس ما جعله لم يعد يلحظ مثل هذه الأمور.

«جولي.»

فاستدارت مجفلة لترى نيكولاس ينظر إليها بشيء من الهزل، وقالت: «لم اسمعك حين جئت.»

فأجاب: «هذا ما ادركته. يبدو عليك انك بعيدة عن هنا مئات الأميال.»

فقالت: «ليس تماماً. لقد انهيت كل الأعمال هنا، وها انذا صاعدة إلى غرفة نومي. تصبح على خير.»

فمشى معها نحو السلم قائلاً: «وأنا أيضاً. بالمناسبة، كانت السهرة ناجحة جداً.»

فتوقفت عن السير وهي تفتش عبثاً عن شيء تقوله،

فحاولت أن تمنع نفسها من التثاؤب وهي تقول: «آسفة، إنني...»

فقاطعها قائلاً: «انك مرهقة، تعالي.» واتجه بها نحو غرفتها.

وضعها في سريرها، ثم استدار يحرك النار في المدفأة. وجلست في سريرها شاعرة بالغيظ دون سبب وهي تقول ساخرة: «هل يهمك كثيراً يا نيكولاس نوع الانطباع الذي سيأخذه هؤلاء الضيوف عني؟ اعني هل تراهم سيحكمون عليك من خلالي، أو ما أشبه؟»

فتقدم منها يسألها: «لماذا هذا السؤال يا جولي؟»

اجابت: «ولما لا اسألك؟ إنه الفضول ليس إلا.»

فبدا عليك الشك في جوابها ولكنه قال: «اظنها طبيعة بشرية ان يتساءل الناس عن بعضهم البعض ثم يصدرون احكامهم.»

فقالت ببطء: «هكذا إذن، هل كنت أنا معرضة للحكم عليّ؟ فيفكرون، مثلاً، حسناً، انها جميلة. كيف سيكون تأثير ذلك على رأيهم فيك؟»

فقطب جبينه قائلاً: «لو سبق وعلمت ما وراء هذا يا جولي، لكنت...»

فانفجرت فيه قائلة: «انك انت الذي اردتني أن اترك فيهم تأثيراً حسناً وليس ان ابدو وكانني خطفت من المهد.»

فابتسم قائلاً: «اهذا ما كنت تشعرين به هذه الليلة؟ لقد لاحظت عليك فعلاً شيئاً من الإضطراب.»

ارسلت الصحة وعدم الصحة في كلماته احمراراً خفيفاً في وجنتيها وشعوراً بالقسوة منه، فقالت: «لا يمكنك

الحصول على الأمرين معاً يا نيكولاس. انك قد تزوجتني حتى ولو كان ذلك لأسباب خاطئة، ولكنهم لا يعرفون ذلك، وهكذا...»

فقاطعها قائلاً: «جولي. دعيني اريحك. انني لا اهتم مطلقاً لما يظنه الناس عن حياتي الخاصة. واهتمامي بما قد تكون عليه تصرفاتك هذه الليلة هو ناتج عن أن المرء إذا دعا الناس إلى منزله، خاصة في مكان ناءٍ كهذا لا يمكنهم معه المغادرة متى شاؤوا، اظنه يكون مرغماً على أن يحافظ على ان لا يجعلهم يشعرون بعدم الارتياح كأن تحدث امامهم مشاجرة عائلية. ألا توافقينني على ذلك؟»

فأجابت: «طبعاً! رغم ان هذا لا يفسر مسألة المهد.»

فقال متأملاً: «حسناً، بالنسبة إلى هذا، فإنني اتساءل عما إذا كان ذلك جزءاً من خطتك. هذا هو كل شيء.»

فقالت: «لم افهم.»

فقال: «ألم تفهمي؟ لقد ظننت منذ أوضحت لك ان تصرفات المرأة المدمرة، وهذه كلماتك وليست كلماتي، وإنما ليست غير ملائمة، هي شيء لا استحسنه منك، ظننت انه ربما عليك أن تغيري هذه الطريقة.»

فأغمضت عينيها قائلة بكآبة: «من المضحك ان هذا لم يخطر لي قط.»

فقال: «انك لن تتخلي عن هذا الصراع يا جولي، أليس كذلك؟»

فتساءلت جولي لحظة عما إذا كانت كذلك حقاً ولكنها قالت: «إنني متعبة قليلاً، وهذا كل شيء.»

فقال: «أحقاً، يا جولي؟»

تبدُّل لهجته جعلتها تفتح عينيها قائلة: «وماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟»

فقال وهو يمعن النظر في عينيها: «لا أدري ما دمت لا تخبريني بنفسك.»

فحولت نظراتها بعيداً وهي تفكر في ما إذا كان عليها أن تخبره أن السيدة لايت وأختها ليستا معها، بل ثمة بديلة لها يتملكها الإضطراب والقلق، ثم مايك... وأنها ستكون شاكرة حقاً لو أن عطلة الأسبوع هذه انتهت على خير. فهو لا بد أن يعلم ذلك قريباً. ولكنها فكرت في أن ليس بامكانها ان تحتمل إزدراءه لكذبها عليه، هذه الليلة على الأقل. وهكذا قالت بضعف: «لا شيء هناك.» ثم ارتمت على السرير متعبة.

فقال: «انك تجهدين نفسك يا جولي.»

فقالت وهي تدعك عنقها: «إنني في الحقيقة لا ادري ما الذي عليّ أن اقوم به لكي ترضى عني.»

فقال: «هنالك شيء واحد إنما لا تريدين القيام به.»

همست تقول: «ولكنني قد لا أرضى عن نفسي عندئذ. إنه مأزق حقيقي أليس كذلك؟» وجلست فجأة وهي تغطي وجهها بيديها بعد إذ تدفقت الدموع من عينيها، ثم تابعت تقول: «كفى يا نيكولاس. لا يمكنني أن اواجهك وكل هذه الأمور في نفس الوقت.»

فأخذ يحدق فيها لحظة طويلة، ثم قال بهدوء: «لا بأس، سأذهب. ولكن إذا كان ثمة مشكلة فليس عليك أن...»

فقالت: «ليس هنالك إلا انك اضعفت ثقتي بنفسي.»

فقال: «لماذا يا جولي؟ لم اظن قط انني قد اسمع منك

كلاماً كهذا. تصبحين على خير، ولا تقومي بأي عمل احمق من فضلك.»

ولم تفعل، ولكنها قبل انتهاء العطلة تصرفت مع مايك بشكل يخالف كل اعراف المجتمع.

الفصل الثالث

كانت فيرا هي التي ألقت بذلك الخبر صباح الأحد.

دخلت إلى الشرفة حيث كان الجميع جالسين بكل راحة قبل ان يستعدوا للرحيل، وهم مازالوا يتحدثون عن حفلة العشاء الليلة الماضية، وكذلك عن الوقت الممتع الذي امضوه نهار أمس، دخلت وقالت عندما انتاب الجميع صمت مفاجيء لرؤيتها: «نيكولاس، هنالك صبي مقيد اليدين إلى السياج في الخارج. قال إن جولي هي التي فعلت به هذا وأنها أيضاً قد هددته باطلاق الرصاص عليه.»

واستقام الجميع جالسين وقد استداروا ليحملقوا في جولي التي ازدردت ريقها ثم قالت: «آه، انه مايك... إنه هناك منذ عشر دقائق فقط. انني...» وسكتت وقد توهج وجهها.

وكان الشيء البعيد عن التصديق هو أن نيكولاس هو الذي خف إلى نجدتها إذ قال باستسلام: «وماذا فعل الآن أيضاً؟» ثم اضاف مخاطباً الحاضرين: «ان مايك هو ابن غريس الطاهية... انها طاهية ممتازة. وأنا متأكد من انكم جميعاً توافقونني على هذا.»

فحملقت فيه جولي فاغرة الفم ذهولاً، ولكنه تمتم يقول برقة: «أخبرينا عما حدث يا جولي، وإلا فيظن الناس انك نوع من الغيلان.»

فبللت شفتيها قبل ان تقول: «انه... لقد كان قيد يدي أمس

إلى القضيب المعدني الذي تعلق عليه المناشف في المطبخ... ان... ان احد اخواله، وهو رجل شرطة، قد كان اعطاه ذلك القيد. لقد جاءت أمه إلى تخليصي حينذاك... واليوم اخذ مفتاح خزانة البنادق، وقد امسكت به عندها، ولكننا، لحسن الحظ نحتفظ بالذخيرة في مكان آمن، كما أنني لم اهدده باطلاق الرصاص عليه... ولكن حيث أنه كان داس على كل نبتة طماطم في الحديقة أمس، واشعل ناراً في قفص الدجاج، وغطس كل الغسيل الذي على الحبل، في البركة، فكرت في أن اذيقه شيئاً من نفس عمله فقد ينفعه هذا...» ووجهت الحديث إلى نيكولاس قائلة: «انك تعرف كل هذا. لقد كنت تعرفه طوال الوقت.»

فأجاب: «ليس طوال الوقت. اين هو مفتاح القيد؟ سأطلق سراحه بشرط ألاّ يهرب.»

ولكن عوامل مختلفة تفاعلت في نفس جولي ما جعلها تفقد كل حسن تقدير، فاندفعت تتهمه قائلة: «كيف امكنك أن تكون وضيعاً إلى حد ان تتركني استمر في الإدعاء، ظانة انك لا تعلم شيئاً... آه.» وصرفت بأسنانها متابعة: «إنني اكرهك، يا نيكولاس ويلز. انك اكثر الرجال الذين عرفت غطرسة وعناداً، وهذه فقط بعض الأشياء التي اكرهها فيك.»

وساد الجو صمت مكهرب، ولكن نيكولاس ضحك وكأنه رأى في كل هذا ما بعث التسلية إلى نفسه، وقال ناظراً إليها: «حسناً، لقد نجحنا في ذلك تقريباً. آسف أيها الأصدقاء، ولكن جولي امضت عطلة اسبوعية مرهقة، أليس كذلك يا حبيبتي؟ انني متأكد من أن عليك فقط ان تعتذري.

تعتذري لهم وليس لي بالضرورة.» واضاف جملته الأخيرة وقد بان التهكم في عينيه.

فأدارت جولي نظراتها حولها وقد بدا عليها الإحجام وهي ترى العيون تتحاشى الإلتقاء بعينيها، ولكنها مالبثت ان انتبهت إلى تمتمة خلفها، فاستدارت لترى غريس، واقفة بالباب، فمدت يدها إلى جيبها تخرج المفتاح تناولها إياه وهي تخاطبها قائلة: «هاكه، يا غريس. إنه ليس هناك منذ وقت طويل، ولو كنت أنا مكانك لصادرت منه هذا القيد... انها تغريه على القيام بأشياء كثيرة. إنني آسفة.» وعادت تستدير إلى الضيوف قائلة: «لم يكن لدي ما يكفي من الخدم أثناء هذه العطلة، كما انني ضيقة المزاج كما يبدو. وأنا اطلب المعذرة منكم جميعاً.»

كانت مستلقية على فراشها مغمضة العينين، ولكنها عندما سمعت الباب يفتح ويغلق، علمت أنه نيكولاس قد دخل. كانت قد سمعت الطائرة تغادر المكان منذ نصف ساعة، ولكنها كانت قد قامت بتوديعهم من المنزل.

وعندما شعرت بالناحية الأخرى من سريرها العريض تنخفض، فتحت عينيها لترى، قبل ان تعود فتغمضهما ثانياً. انه لم يكتف بالجلوس بل تمدد بجانبها مشبكاً يديه خلف رأسه، كما أنه خاطبها قائلاً: «انك غير مستاءة، أليس كذلك يا جولي؟»

فجلست فجأة وقالت: «كلا، ولكنني في الواقع، مازلت غاضبة، فإذا كنت قد جئت لتلقي عليّ محاضرة، فإنك انما تضيع وقتك.»

فتمتم قائلاً: «هذه الفكرة لم تخطر ببالي مطلقاً.»

فعبست ثم تحولت إليه قائلة: «ألست أنت... غاضباً؟»

فأجاب: «وهل يبدو عليّ ذلك؟» فترددت إذ كان يبدو، في الواقع، بأتم راحة واسترخاء، هذا إلى نوع من التساؤل الهازل في عينيه، وأخيراً قالت: «انني... ثمة أوقات لا افهمك فيها يا نيكولاس.»

فأجاب: «هذا واضح.»

فقالت: «اعني انني فعلت الشيء الذي لم تكن تريدني أن افعله، ألا وهو احراج ضيوفنا. ومع هذا أراك...»

قاطعها قائلاً: «لقد كانوا على وشك المغادرة على كل حال، إنما تابعي كلامك.»

تنفست بعمق، ثم قالت: «حسناً، لقد أظهرت عواطف غير معتادة بالنسبة إلى عروسين. انني واثقة من ذلك. وربما جعلتهم يظنون بي قصوراً عقلياً إذ يروونني اقيد الأولاد إلى الأسيجة. ألا يكفي هذا؟»

فابتسم قائلاً: «هل أزعجك هذا لأن ما حدث لم يكن عن سابق تصميم منك ما جعله خالياً من الحقد، وبالتالي سلبك شيئاً من الشعور بالشماتة؟»

فعضت شفتها بينما تابع قائلاً: «أما بالنسبة إلى... عملي الوضيع كما وصفته، فالذي حدث في الواقع هو أنني لاحظت ان ثمة شيئاً ما، فذهبت إلى المطبخ صباح أمس حيث رأيت سيدة ظننتها أخت السيدة لايت، ولكنني لم ألبث ان عرفت منها القصة المحزنة بأكملها، مع انها لم تخبرني عن حقيقة مايك الرهيبة. وهكذا تظاهرت وكأنه سبق لي معرفة بذلك، مصمماً على أن استمر معك في ابداء الجهل بالأمر لأنك كنت تقومين بالمسؤولية بشكل يدعو إلى

الاعجاب، فظننت ان ذلك قد يساعد في بناء ثقتك بنفسك، تلك الثقة التي اتهمتني انت بالعمل على تدميرها. لقد ادركت الآن أنه كان عليّ ان اتدخل واساعد في الأمر بشكل ما، ولكن هذا كان يعني توضيح الأمر لبعض الأشخاص مثل فيرا...»

فقاطعته متجهمة: «بأنني الزمت نفسي بهذا العمل.»

فقال: «ظننت انك قد لا تحبين ذلك.»

فقالت: «وما كنت لأحبه.» واخذت تعبث بحاشية الملاءة، لحظة، ثم عادت تقول: «حسناً، اظنني الآن مخطئة من كل النواحي.»

فسألها: «هل قولك هذا يعني غصن الزيتون؟»

فهزت كتفيها تجيبه: «نوعاً ما. وهذا يعني عودتنا إلى نقطة البداية، وهكذا...»

فقاطعها قائلاً: «وبكلمة اخرى، لا تبدأ بتخيل اشياء، يا نيكولاس...» نطق بهذه الكلمات برصانة تامة، ولكنها عندما نظرت إليه رأت في عينيه ومضة ماكرة.

اشاحت بوجهها وهي تشعر بخفقات قلبها تعلو، ثم قالت: «ان فكرة أن خمسة اشخاص يظنون بي الآن أشياء وأشياء، هذه الفكرة ستعيش معي على الدوام.»

قال: «لو كنت مكانك لما اكترثت لهذا الأمر. حتى ان احدهم قال ان من الممكن ان تكوني حاملاً وهذا يسبب عادة توتراً في المزاج.»

فقفزت عن السرير وهي تقول بعنف: «ولكنني لست حاملاً.»

فقال وهو يتمطى بكسل: «هذا ما نعرفه أنا وأنت، ولكنهم لا يعرفون.»

فسألته: «ولكنهم سيعرفون الحقيقة بعد عدة اشهر، فماذا سيظنون عند ذلك؟»

فنظر إليها صامتاً لحظة، ثم اجاب: «ان الأمور قد تتغير بعد عدة اشهر.»

فأبدت إشارة سخط ثم مشت نحو النافذة وهي تقول: «مازلت لا استطيع ان افهم لماذا يسرك ان يعلم الآخرون إما انني اكرهك وإما انني ذات مزاج متقلب. لا بد انك مجنون إذ تزوجتني.»

فأجاب: «لقد سبق واخبرتك انني لا اهتم مطلقاً لرأي الآخرين. كما انك تعجبينني عندما تتصرفين بعفوية حتى ولو بدا في تصرفك ذاك شيء من التقلب، يا جولي.»

فأخذت تحدّق إلى الخارج من النافذة. لقد ابتدأ النهار صحواً مشرقاً، ولكن المطر ينزل الآن مدراراً. وارتجفت، ثم قالت: «ذكرني في المرة القادمة، بأن اتصرف بعفوية...»

وساد صمت، وشعرت بتوتر وهي تسمع قرقعة رفاص السرير، ولكنها لم تشأ ان تلتفت حتى عندما شعرت به يقف خلفها. ولكنها قالت وقد بدا توترها في صوتها: «إلى أين ستنتهي المسيرة بنا؟»

فأجاب: «لا ادري. هل عندك فكرة؟» لم تعد تستطع تمالك نفسها اكثر من ذلك فاستدارت نحوه بعنف قائلة: «كلا. لا تنسى انني أنا الرهينة.»

فقال: «وأنك أيضاً بالغة الارهاق والانفعال، لما لا تغتسلين وتنامين قليلاً؟»

فقالت: «لكن الساعة هي الآن الثالثة بعد الظهر. هذا إلى أن مايك ما زال يجول عابثاً...»

فقال: «كلا، لقد تحدثت إليه ولا أظن أنه سيضايقنا بعد الآن. كذلك طلبت من غريس أن ترتاح ساعتين بعد أن شكرتها على جهدها الكبير.»

فقالت بمرارة: «وهي الآن، دون شك، متألقة العينين وتعتقد أنك رائع.»

فرفع حاجبه ساخراً وهو يقول: «إن الحقد ليس من شخصيتك يا جولي.»

فقالت بشيء من السخرية هي أيضاً: «إنني، في الحقيقة شكرت غريس كذلك واعتذرت عما صدر مني تجاه مايك.»

فقال: «إنك لن تمانعي إذن في بقائهما لعدة أيام أخرى. غريس لكي تساعدك ومايك ربما يستفيد من اشراف رجل عليه بعض الوقت.»

فاتسعت عيناها ما جعله يقول بضيق واضح: «إنه ليس سوى طفل يعاني من عدم وجود أب. تماماً مثلك في طفولتك عندما كنت تعانين من عدم وجود أم، لا بد...»

فانفجرت فيه قائلة: «اخرس، يا نيكولاس. ألا ترى أن لديّ ما يكفي من الشعور بالذنب، كما لم يحدث قط من قبل مهما كانت الظروف؟ وهل هذا حقاً...» وترددت قليلاً ثم تابعت تقول: «رأيك في أن فقداني للأم هو الجذور لكل مشاكلي؟»

فهز كتفيه قائلاً: «ربما هذا لا يساعد في شيء.»

فقالت: «شكراً. أتدري ماذا؟ أظنني سأقوم بما سبق واقترحته أنت، يبدو أن لا بديل لذلك.»

فقال: «بل يوجد. وستأخذين به يوماً ما يا جولي. لأنني سأخبرك ما هو. لنفرض أننا أنا وأنت، متماثلان في بعض

النواحي.. ولندع العلاقة الزوجية جانباً في الوقت الحاضر.» وارتسمت على شفتيه ابتسامة لم تبلغ عينيه وهو يتابع: «على افتراض أننا متماثلان فكرياً، يمكننا النزول إلى غرفة المكتبة حيث نتناول الشاي أمام النار. وسنتحدث في خططي للأسبوع القادم، وكل ما علينا عمله نحو ستورم والأشياء التي كان يجب القيام بها منذ سنوات. إن بإمكانك أن تعزفي على البيانو بعض الوقت. وسأستمتع أنا بالاستماع بينما أطالع الصحف التي وصلت هذا الصباح بالطائرة وبعد ذلك نتناول العشاء، ونتفرج على فيلم في الفيديو ثم نذهب باكراً إلى الفراش، انك ستنامين جيداً وتستيقظين متألقة العينين.»

بقيت في الحمام فترة طويلة، وفي سرعة مفاجئة أخذت تحاول فرز افكارها وتحويل ورطتها هذه إلى حقائق مجردة بدلاً من شعورها المبالغ به بالخوف. لكن النتائج كانت مكتملة. فقد تزوجت من رجل لا يحبها وإنما أرغمها على القبول لكي يفوز بربح من وراء الزواج بها، رجل لا بد أنه قرر أن زواج المصلحة اكثر ملائمة له، وقد يكون قرر أن يصوغها بشكل الزوجة التي يريد. أي نوع من الرجال من يقوم بعمل كهذا؟ ربما رجل حاقد، ويبدو أن من الصعب التأكد من ذلك، خصوصاً وأن بإمكانه أن يحصل على الزوجة التي يختارها. كلا، لا بد أن هناك شيئاً اكثر من هذا. وتساءلت عما إذا كان في نيكولاس الذي عرفته صبية صغيرة ما يشير إلى هذه الصلابة، وما أشبه.

تمتمت تحدث نفسها: قد كان دوماً... لست أدري. كنت

فقط اعلم أنه ينال دوماً ما يريد بأي شكل كان. هذا صحيح. كان متحفظاً و... وطبعاً، إذا جاء ذكر الأمهات. فهو قد نشأ دون أم بعد أن تركته هاربة من بيتها مع رجل آخر. وربما تألم لذلك اكثر مما تألمت أنا. ربما هذا هو السبب في ظنه أن بإمكانه ان يعامل النساء بهذا الشكل. لأنه لم يعرف امرأة، في سنوات نشأته، استحوذت على احترامه وتقديره. اراهن أن في هذا ما يفسر ذلك. ولكن بعد لحظة، عادت تشعر بالأسى إذ تبادر إلى ذهنها أن تحليلها هذا لشخصية زوجها المادي المحنك قد يكون مضحكاً. وتتابعت افكارها... وعلى افتراض خضوعها له، تحركت بضيق في حوض الحمام، ثم ارغمت نفسها على اعتبار امكانية ذلك. وأنه إذا حدث هذا، اي نوع من الأزواج سيكون لها بقية حياتها؟ ستكون هناك دوماً مسافة صغيرة بينها وبينه، وسيكون هو الرئيس دوماً... ومن هنا يتبين نوع الزواج هذا. هل بعد أن يعاملها كزوجة بكل معنى الكلمة ستكون من الخبل وذهاب اللب بحيث لا تعود تهتم بكل ذلك، أم أن كل شيء سيصلح بطريقة غامضة لا تستطيع ادراكها الآن؟ وعادت تتحدث إلى نفسها: ولكنني لا استطيع، لأنه إذا كان غامضاً الآن فسيبقى كذلك على الدوام، حتى ولو لم يكن زوجاً فظيعاً، فستكون حياتي ناقصة. طبعاً ستبقى هناك ستورم... فهل هذا هو الثمن الذي عليّ أن ادفعه؟

وارتجفت فجأة، لا لبرودة المياه، بل عندما تكرر في ذهنها عن الثمن الذي عليها أن تدفعه لأجل بيتها الذي تحب.

مع انها رقدت لمدة ساعتين على غير ما اعتادت عليه

أثناء النهار، ومع انها لم تكن تشعر بالتعب عندما استيقظت إلا أنها شعرت بالبرد والوحدة. وجلست تسرح شعرها، وتنظر إلى نفسها في المرآة بعد أن صممت على أن تتخذ الخطوة التي لم تكن تصدق قط أنها ستتخذها يوماً...

كان نيكولاس جالساً في المكتبة يطالع الصحف عندما دخلت جولي واغلقت الباب خلفها، فرفع رأسه وأخذ ينظر إليها مفكراً وهي تقف قرب الباب، ويدها ما زالت على المقبض وكأنها قد تبدل رأيها لتعود من حيث أتت.

قال: «هل تشعرين بتحسن؟ أظن العشاء سيكون جاهزاً بعد قليل.»

فأجابت: «آه، نعم. إنني احسن يا نيكولاس...» وسكتت، حين وقف، وكادت اعصابها تغلبها، وكذلك شيء آخر. شعور مفاجيء بالإحباط، لأن معرفتها بنيكولاس ويلز كانت أشبه بمعرفتها بكتاب لم تسبق لها قراءته، ولأن ما تعرفه عنه كان مزعجاً لدرجة غير محدودة، وهي لا تقصد الأشياء التي كانت تفكر فيها أثناء تحليلها لوضعها اثناء استحمامها. انها اشياء لا تشعر بها إلا اثناء وجوده. ولشعورها بجاذبيته الطاغية، تملكها شعور مفاجيء بأنها قد اصبحت في وضع يمكنها من الاعتراف لنفسها بأنها كانت على الدوام تعرف ذلك وأن ليس لديها أية مناعة ضده. لقد كان خياله لا يفارقها وهي تقارن كل رجل تلقاه، به وحين صممت بحزم على تجاهله، أخذت تدقق في كل تفاصيل تلك المرأة التي كانت معه. وها هوذا الآن يقف ناظراً إليها، وقد بدا كبير الحجم وعفوياً ببنطاله الجينز وكنزته الخضراء...

تركت مقبض الباب وتقدمت خطوات وهي تخاطبه قائلة: «نيكولاس، ماذا سبق وقلت منذ فترة بالنسبة إلى أننا متماثلان في بعض النواحي... هل من الممكن أن نتحدث في هذا الموضوع اكثر من ذلك؟»

فلوى شفتيه، ولكنه قال بعد لحظة: «بالتأكيد. هل تريدين أن تشربي شيئاً قبل العشاء؟»

فتمتمت شاكرة وهي تجلس قبالة كرسيه. فسكب لها كوباً من عصير البرتقال، وأخرى لنفسه ثم عاد إليها ولكنه لم يجلس بل وقف متكئاً على رف المدفأة يرشف العصير قائلاً دون أن ينظر إليها: «تابعي كلامك.»

قالت: «هل مما يدعو إلى الشك أن اقول إنني سأقوم بالتجربة؟»

فأجاب: «يدعو إلى الشك بماذا؟»

فقالت: «اعني هل يجعلك هذا تظن أنه بداية مني لمشاركتك حياتك الخاصة؟»

ففكر برهة برصانة، ثم أجاب: «ربما.» وأخيراً حول رأسه ناظراً إليها بعينين بدا فيهما شيء من الهزل فاحمر وجهها قليلاً وقالت: «حسناً، ستكون مخطئاً في هذا.»

فسألها: «ماذا تعنين يا جولي؟»

فترددت ثم قالت باكتئاب وبراءة: «لا اعرف ما يجب أن افعل غير ذلك، هذا هو كل شيء.»

فقال: «هل تعرضين عليّ، بكلمة أخرى، أن نمضي بقية حياتنا لا تربط بيننا سوى صلة فكرية؟»

اجابت: «لا استطيع الابتعاد بأفكاري إلى هذا الحد، كل ما اريد قوله إنني لا استطيع الاستمرار بهذا الشكل. إنني...

إنني فقط لا ادري ماذا عليّ أن أفعل، حالياً. إنني، في هذا الوضع المريع، والذي هو بسببك، لا تنس هذا، أرى الحياة تمضي بي شاعرة بأنني لا انفع لشيء...»

فأخذ يتأملها بصمت فترة حتى ابتدأت اعصابها في التوتر، ثم قال: «انك صغيرة جداً، أليس كذلك يا جولي؟»

فقالت: «اتراك تسألني أم تخبرني؟»

فابتسم بفتور وهو يقول: «اظن أنني اخبرك، لا بأس. يمكنني أن ارضى بذلك إلى الأبد.»

فرفعت حاجبها وهي تقول ساخرة: «ومن يدري؟ ان الأمور قد تتغير بعد عدة اشهر.»

فقال بجفاء: «نعم، حسناً، انك صريحة أيضاً بالنسبة إلى فتاة بهذه السذاجة... احياناً.»

فقالت: «ان في قولك هذا شيئاً من التغيير... هل خطر لك مرة، يا نيكولاس، انك لم تعرفني تماماً بعد؟»

فقال: «بل بالعكس. فأنا اعرفك تماماً، يا جولي. وإلا، لو كنت لا أعرفك، لما تزوجتك.»

فضاقت عيناها وعادت وجنتاها إلى الاحمرار واخذ قلبها يخفق عالياً. وسألته بصوت مرتجف: «وماذا تعرف عني؟» فهز كتفيه قائلاً: «يغلب عليك الإضطراب والتشوش الذهني، والتقلب احياناً...» ورفع عينيه وقد عادت إليهما تلك النظرة الماكرة، ثم تابع قائلاً: «عنيدة ولكنك لا تخلين من شجاعة، متألقة، لديك حس بالأناقة، وكذلك كثير من الطهارة والفضيلة بشكل يدعو إلى الإعجاب في الواقع.»

فرفعت رأسها عابسة وهي تقول: «هل هذا صحيح؟ إذن

فقد كنت أنا على صواب، وأظن أنني سبق وذكرت لك هذا من قبل. فأنت تراني قابلة للصياغة بحيث يمكنك أن تشكلني لأصبح زوجة لائقة، أليس كذلك؟ ولكن عليك أن تعلم انني لم اتخذ سلوك (المرأة المدمرة) ما يجعلني بحاجة إلى تقويم، وكذلك أنا طبعاً، سيدة مزرعة ستورم وعلينا أن لا ننسى ذلك. وإني اتساءل فقط عما عسى يعود عليّ تشكيلي. وبكلمة أخرى، فلنقل ان لدي فكرة عن نوع الزوج الذي اريدك ان تكونه... هل من المسموح لي أن اقوم بذلك؟»

فأجاب: «ولما لا؟»

فنظرت إليه باستغراب، فقال: «ما الذي يدور في خلدك، يا جولي؟»

فقالت: «إنني...» ولم تعرف كيف تعبر وهي تفكر في ما سبق وفكرت فيه أثناء مكوثها في حوض الحمام من أنها ستوجهه برأيها في نوع الزوج الذي تريده أن يكونه، فعاد يقول برصانة بعد أن انتظر بأدب ما تريد قوله: «ان رأيي هو على الدوام، ان الصراحة والوضوح بين الرجل والمرأة هما الأفضل، إذا كان هذا ما تريدين قوله. ولكن النساء، بعض النساء، يجدن صعوبة في ذلك. انهن متحفظات بطبيعتهن في هذا الموضوع. هل انت متحفظة بطبيعتك بالنسبة لهذه الأشياء، يا جولي؟»

فأجابت: «أي... أي أشياء؟»

فأجاب: «الأشياء التي هي لب الزواج. أي العلاقة الشخصية بين الزوج والزوجة.»

ومرت لحظة قبل أن تدرك جولي أنها تشعر بقسمات

وجهها تتوتر لما سمعت. كما أن صوتها، حين تكلمت، كان اكثر توتراً وهي تقول: «انني لم اقصد ذلك. ألا تفكر قط في غير هذا الموضوع؟»

فبدت في عينيه تلك النظرة الهازلة مرة أخرى وهو يجيب: «غالباً إذا حضرت سيرة الزواج، يقفز هذا الموضوع إلى الذهن.»

فانفجرت قائلة: «ولكن لا بد أن هنالك أشياء أخرى. لا بد أن يكون هناك حب وإلا اصاب الواحد منا الملل من الآخر. يجب ألاّ يكون هنالك اختلاف بيننا في الرأي عما ينبغي ان يحتوي عليه زواجنا، ولا ادراكي بأن عليّ ان اتشكل من جديد لكي اكون مناسبة لك... أو حتى فقط انني لا افهمك، يا نيكولاس، أو لماذا فعلت ذلك.»

فقال بلهجة ذات معنى: «أو لماذا وافقت انت عليه.»

قالت: «أو لماذا...» وسكتت ثم تنهدت.

قال: «ماذا لو اخبرتك أن ليس لديّ رغبة في جعلك تشعرين بعدم المساواة، يا جولي؟»

فقالت: «ولكنك تقوم بذلك فعلاً. ان فكرة أن هذا زواج مصلحة بالنسبة إليك، هذه الفكرة فقط تجعلني اشعر بعدم المساواة وسأشعر دوماً انني لا افهمك.»

فسألها قائلاً: «هل هنالك شيء، عدا عن طريقة زواجنا، لا يعجبك مني أو يجعلك عديمة الثقة بي؟»

فقطبت جبينها إذ لم يكن في صوته أي هزل الآن، وقالت: «انني... حسناً...» وحدقت فيه بعجز. وانتظر منها أن تتابع كلامها، ولكن كل ما امكنها قوله هو: «لماذا؟»

فقال: «اعني، هل فكرة مشاركتنا غرفة نوم واحدة تملأ

نفسك اشمئزازاً؟ وهل تظنين حقاً انني لا أكن اهتماماً قلبياً لمزرعتك الحبيبة ستورم؟»

فحدقت فيه وهي لا تدري بماذا تجيب. ثم اكتشفت أن انفاسها تتسارع وهي تتساءل بماذا تجيبه، ثم قالت: «ولكنني في الحقيقة، لم افكر في هذا الأمر، انني...»

فقاطعها وقد بدا في نظراته العنف والقسوة ما جعل وجهها يتورد: «ألم تفكري في ذلك يا جولي؟»

فتنفست بعمق ثم اجابت: «ليس... ليس جدّياً، حينذاك.»

فقال: «ولماذا كان قرارك غير الجدي هذا؟»

فأجابت: «فكرت في أن هذا يصرف عني الشعور بالو...» وسكتت فجأة، فأكمل كلامها قائلاً بهدوء بالغ: «الشعور بالوحدة؟»

فهمست: «نعم.»

فقال: «ما كان ينبغي لك ذلك.»

فقالت وهي تنهض مضطربة: «نيكولاس، ان هذا...»

فقال: «لا بأس... وماذا بالنسبة إلى ستورم؟»

فأجابت: «نعم. اظنك تهتم بها قلبياً، ولكن...»

قال: «إذن، فقد حان الوقت الذي تكبرين فيه وتتقبلين فكرة أن الحياة ليست كلها وروداً واحلاماً حلوة. وأنه عندما تبدو حقيقتها، علينا أن نحاول الصمود واستخلاص افضل ما فيها، وأن نبتهج رغم المصاعب. والحقيقة هي انني، واعتذر لهذا، انني متحرر من الأوهام، فأنا اريد ستورم لأسباب متعددة، وإذا كنت تريدينها انت ايضاً بنفس اللهفة التي تبدو عليك، فهذا هو إذن الثمن الذي عليك دفعه. ومن ناحية أخرى، ما كنت لأتزوجك لو لم أكن واثقاً من أن

هذا الزواج سينجح ثمة زيجات كثيرة جداً قامت على أسس أوهى من هذا الأساس. كما أنني لم أتوقع منك أن تقدمي الشكر إليّ أو أن تشعري باستعلائي عليك. فإذا كنت أنت ملتزمة بهذا الزواج، فأنا لا أتوقع مطلقاً أن تكوني زوجة خاضعة سلبية يتملكها الشعور بعدم المساواة. انني أتوقع وأكون سعيداً لو تكيفت مشاعرك نحو هذا المكان بقدر قوة روحك وشجاعتك... حتى في الأوقات التي تجدين فيها مبرراً لفقد اعصابك معي.» وسكت، ثم رفع رأسه قائلاً: «بالمناسبة، العشاء جاهز. فأنا اسمع رنين الجرس. احضري شرابك معك.»

كان الطعام، في الواقع، معكرونة بالجبن، وقد تناولوا جميعاً العشاء بالإضافة إلى غريس ومايك.

استطاعت جولي أن تكتم دهشتها، فقد كانت ماتزال ذاهلة مما سبق وقاله نيكولاس، ثم هناك ذلك الجانب الآخر من جوانب شخصيته الذي لم تكن تعرفه. وهو اهتمامه الجدي بمحنة غلام دون أب، وكذلك بأمه.

كان واضحاً أنه أنجز تقدماً كبيراً بالنسبة إلى مايك أصبح فجأة مثالاً للحشمة والأدب ولكن فظاظته اختفت. وساورها الذهول عندما رأته يناولها القيد الحديدي وهو يقول: «ان أمي ترى أن من الأفضل أن تحتفظي بهذا إلى ان انتهي من الاصلاح.» فاعتبرت هذه البادرة منه بمثابة اعتذار ولكن دهشتها ازدادت عندما قال نيكولاس: «ان المدارس في إجازة ثلاثة اسابيع، يا جولي، ومايك سيمكث هذه المدة عندنا...»

فقال مايك بفم محشو بالمعكرونة: «وأمي أيضاً.»

فقالت غريس: «طبعاً يا عزيزي. لقد طلب مني السيد نيكولاس أن اساعدك في اعمال البيت أثناء هذه الأسابيع الثلاثة، يا سيدة جولي، كما أنه سيكلف مايك ببعض الأعمال الخفيفة كل صباح مثل اصلاح... الخراب الذي كان احدثه.» واحمر وجهها، ثم عاد فأشرق وهي تتابع قائلة: «وإذا كان سلوكه حسناً، فإنه سيجعله يركب في الطائرة كما أنه سيعلمه ركوب الخيل وقيادة التراكتور. هل هذا مقبول منك؟» سألتها هذا والقلق بادٍ على وجهها. فأجابت جولي بحرارة: «هذا عظيم. نعم، سيكون هذا شيئاً رائعاً يا غريس.» ولكنها تجنبت عيني نيكولاس وذلك لأمرين الأول هو الصلة الوثيقة السخيفة التي شعرت بها فجأة بينها وبين مايك، والثاني، وهو ما أثار سخطها، أنها لو كان توفر لها الوقت والظروف المناسبة، لكان بامكانها ان تدير أمر مايك كما فعل زوجها. أما لماذا هذا الشعور بهذه الصلة، فقد ادركت بعد فترة من التأمل، أن نيكولاس يجعلها احياناً تشعر وكأنها صبية متمردة، واحياناً يستعمل نظام المكافأة. وتملكتها المرارة، فهذا يشبه تماماً معاملته لمايك انها تشعر بأنها الآن ند لمايك.

واستغرقتها هذه التأملات، ولكن لم يبد على أحد أنه لاحظ صمتها.

ولكن عندما اخذت غريس تصنع القهوة وترفع الأطباق عن المائدة، نظرت جولي إلى زوجها اخيراً ثم قالت فجأة: «هل عليّ ان اقرر ما سبق وتحدثنا بشأنه، الآن؟»

فأجاب: «يمكنك أن تفكري ملياً في الأمر عدة أيام.»

فقالت: «سأفعل.»

فابتسم بفتور ثم غير الموضوع قائلاً: «انني افكر في القيام برحلة تفقدية في الطائرة غداً إذا ما توقف المطر. هل تحبين المجيء معي؟»

الفصل الرابع

مر الأسبوع التالي بهدوء وسلام. فقد قاما بكل الأمور التي كانت غريس نكرتها كما أن مايك سلك طريق اصلاحه بنجاح تام. هذا بينما اكتشفت جولي مبلغ سرورها باشتراكها مع زوجها بتفقد المزرعة، وكانت تصدم احياناً وهي ترى مبلغ الاهمال الذي لحق بها، كما كان يضايقها ان ترى نيكولاس متخذاً دور المالك، ليس بشكل صارخ، وانما بشكل هادىء عملي ومعرفة عميقة بما تحتاج إليه المزرعة. كانت تحيط به هالة رجل ليس من الذين يستخف بهم أحد، وكانت هي تراقبه غير غافلة عن ذلك الاعجاب الخفي بطريقته في الاشراف على منزلها وأملاكها. لقد جعلها هذا في موضع مربك، مسبباً لها هذا التردد، كما أخذت تفكر بمرارة.

وفي نفس الأمسية التي كانت فيها في غرفة نومها تحاول ان تقرر ما سترتديه في حفلة العشاء التي سيقيمها اقرب جيرانهم على بعد خمسة وعشرين ميلاً، في هذا الوقت دخل نيكولاس عليها بينما كانت تتحدث إلى نفسها.

وتمتم وهو يقف على العتبة رافعاً حاجبيه وهو ينظر إلى مجموعة الثياب الملونة المعروضة على السرير، تمتم قائلاً: «ما هذا يا جولي، هل ستنتقلين من غرفتك؟ ثم أظن أنني سمعت صوتاً.»

فنظرت إليه واضعة يديها على خاصرتيها، وهي تقول بضجر: «كنت أتحدث إلى نفسي، كما أفعل غالباً، وربما ستضع هذا في حسابك إذا أصررت على البقاء متزوجاً بي. ثم إنني أحاول أن أقرر ثوباً ألبسه، وربما من الأفضل أن تضع هذا أيضاً في حسبانك لأنه يأخذ مني أياماً في بعض الأحيان، وليس ساعات.»

فقال: «آه، إن هذا شيء عادي بين اكثر النساء.» فقالت متحدية: «حتى ولو لم يكن، فليس في نيتي أن أغير طبعي هذا.»

فقال: «إنني لا أطلب منك ذلك، ومن ناحية أخرى...» ومشى نحو السرير وأمسك بأحد الأثواب وهو يتابع قائلاً: «فان الأزواج قد يكونون مفيدين في أوقات كهذه. لا أظنني رأيتك في هذا الثوب.»

كان ثوباً مستقيماً رمادي اللون بكمين طويلين وقبة بيضاء من الدانتيل وكذلك قلابات الكمين. فقالت: «هذا غريب، لقد كدت...» ثم سكتت فجأة.

فقال: «لقد كدت تختاريه بنفسك؟ اذن فأنا متأكد من أنك ستغيرين رأيك الآن.»

فقالت: «انني لست غبية إلى هذا الحد.»

قال: «لماذا لا تجربينه أمامي اذن؟»

فسألته: «ولماذا؟»

أجاب: «لكي نطمئن، نحن الاثنين، إلى أنه ثوب لائق لهذه المناسبة. فهذه أول دعوة تصلنا ونحن متزوجان.»

فقالت ساخرة: «أعرف هذا جيداً.»

فقال: «ألهذا السبب يبدو عليك الاهتمام البالغ؟ لماذا هذا

ونحن الاثنان نعرف آل ريدفورد منذ وقت طويل.» فقالت: «ومن قال إنني بالغة الاهتمام؟» كانت تتكلم ببرود بالغ فقد كانت تفضل الموت على الاعتراف بذلك، اذ قبل كل شيء، كانت تتوقع الظهور إلى جانب نيكولاس امام مجموعة من الناس سبق وعرفتهم طوال حياتها، ولكن ليس كزوجة. وقالت: «على كل حال، فاهتمامي هذا ليس من دون سبب.» ثم أضافت بعد لحظة: «أشعر كأنني مهر على وشك سوقه إلى العرض.»

فابتعد عن السرير وجلس على مقعدها المخملي الأخضر ثم قال: «إنك تذكرينني أحياناً بمهر طويل القوائم. لماذا لا تجربين هذا الثوب فتستفيدين من رأيي الحكيم في هذا الموضوع؟»

فقالت: «هذا لا يمكن أن يكون وأنت موجود هنا.. أعني..»

ولم تتابع ما كانت تود قوله بل أخذت الثوب واتجهت إلى غرفة الحمام.

دارت حول نفسها أمامه تريه الثوب، ثم جلست على الكرسي وهي تقول: «أظن الحق معنا بالنسبة إلى هذا الثوب، يا نيكولاس. إنني متأكدة من أنه سيعجب آل ريدفورد، فهم متزمتون جداً وكذلك هم مولعون بي وأنا لن أستغرب إذا وجدت الكولونيل ألفريد هناك. إنه عجوز مولع بي وكذلك أنا به. ولهذا... سأرتدي هذا الثوب.»

كان نيكولاس، هذه اللحظة، يحدق فيها ما جعلها ترتبك وهي تدرك أنه يعلم بالضبط السبب الذي جعلها تتدفق بثرثرة كهذه، كما يعرف ما الذي كانت تحاول تغطيته بهذه

الثرثرة من تصورات. وحبست أنفاسها بعد إذ تلاقت نظراتهما.

ولكنه وقف أخيراً، وأخذ يسوي من الدانتيل الأبيض الذي يحيط بعنقها، كما أخذت نظراته تجول على كامل الثوب الذي كان ينحدر إلى كاحليها. ثم قال برقة: «نعم، يا عزيزتي. إنه ثوب بسيط محتشم تبدين فيه جميلة وصغيرة وجذابة، وأنا متأكد من أن هذا أيضاً سيكون رأي آل ريدفورد والكولونيل.»

فحملقت فيه وهي تشعر بجاذبيته المدمرة تطغى على أحاسيسها مرسلاً اضطراباً في كيانها. ولم تملك أن قالت: «هل تقول هذا بصفة عامة؟ آه، نعم، هذا طبيعي، ما أغباني.» وازدردت ريقها وهي تتابع بسرعة: «حسناً، لا أستطيع أن أفكر في شيء آخر ألبسه، فهذا الثوب هو أقل من...»

قاطعها قائلاً: «إن الثوب ممتاز ويبدو جميلاً عليك تماماً، يا جولي. ان قماش الخيش نفسه يبدو عليك جميلاً لو ارتديته.» وارتسمت على فمه ابتسامة لم تبلغ عينيه، وهو يتابع قائلاً: «ثم إنني قلت ذلك بصفة عامة وكذلك بصفة خاصة جداً، وهذا بيننا، يا عزيزتي، فأنا أعدك بأن الحياة ستكون اكثر سهولة بكثير.»

ثم ابتعد وهو يقول مقطباً جبينه: «أظن قد حان الوقت لكي اغير ملابسي أنا أيضاً.»

وأثناء عودتهما بالسيارة في تلك الليلة المظلمة الباردة، قال يخاطبها: «حسناً، لم تكن حفلة العشاء مرهقة، أليس كذلك؟»

أجابت بهدوء: «كلا.»

وبعد أن اجتازا عدة أميال عاد يقول: «إنك هادئة جداً.»

فأجابت: «آسفة.»

فقال: «إنك تسببين لي قلقاً بالغاً يا جولي.» فتحركت بضيق وهي تتساءل عما يقوله. لو أنها أخبرته بأنه هو الذي يسبب لها القلق البالغ، وقالت تجيبه: «لا شيء، إنني متعبة فقط.»

وتصنعت التثاؤب وهي تتابع: «إن تمثيل دور الزوجة هو شيء متعب تماماً. إنك تعلم ذلك، يا نيكولاس.» وسرعان ما ندمت على ما قالته.

ولكنه لم يرد عليها كما توقعت، وبقي يقود بصمت، ولكنه زاد من السرعة ما دفعها إلى حبس انفاسها والنظر إليه من تحت أهدابها بفضول، ولكن كل ما استطاعت رؤيته هو جانب وجهه وشعره القاتم الكثيف، بينما كانت السيارة (الجاغوار) تطوي الطريق غير المعبد طياً.

وكانت على وشك الادلاء بملاحظة حمقاء عندما ظهر فجأة ظل أسود على الطريق أمامها، فانحرفت سيارتهما بقوة لتقف بعد أن اصطدمت بحجر كبير، ما جعل نيكولاس يهوي على عجلة القيادة.

وهتفت مذعورة: «أوه، كلا، نيكولاس! هل أنت بخير؟ أوه، كلا.» وهوت على ركبتيها بجانبه تضع اصبعها على رسغه تختبر النبض. لقد كان حادثاً معتاداً على الطرق النائية تلك إذ يقفز بين العجلات حيوان كالكنغارو مثلاً أو غيره. ثم حاولت أن تزيح الحجر الذي تسبب في أن يشج نيكولاس رأسه على عجلة القيادة.

وأخذت تكلم نفسها. أرجو أن لا يكون قد أصيب بكسر في الجمجمة أو أي شيء مشابه. والآن ماذا علي أن أفعل؟

وبعد لحظات من الذعر، هدأت قليلاً ثم قررت أن أفضل ما يمكنها القيام به هو إراحته إلى الخلف. ورأت كدمة على صدغه، فرأت أن تضع عليها كمادات باردة مستعملة لذلك زجاجة الماء البارد التي كانت في السيارة. ونزلت من السيارة تلقي عليها نظرة تقيم بها قدرتها على المسير، ثم عادت تصعد بسرعة بعد أن لسعها البرد.

ولم يعد إلى رشده الا بعد نصف ساعة، ازدادت أثناءها برودة الجو في داخل السيارة، ما منع المحرك من التجاوب مع محاولتها في اشعاله لكي تستطيع اشعال المدفأة، كما توقفت عن وضع الكمادات الباردة على صدغه مركزة على الاحتفاظ بها دافئة. ثلاثون دقيقة بدت لها ساعات طويلة بالنسبة إلى الرعب الذي كان يملأ نفسها خشية أن تكون اصابته خطرة، هذا إلى اضطرارها للتصرف معه بحرية ما كانت لتقوم بها لو كان في وعيه... وحدثت نفسها، بأن ما كان لها أن تتظاهر بعدم الوقوع في حبه بكل هذه القوة رغم مداومة تذكيرها لنفسها بسوء وضعها معه، فكيف الآن وهي ترى نفسها وحدها معه خائفة عليه هكذا؟ إنها لا تستطيع أن تتصور الحياة بدونه.

عندما فتح عينيه، بدت شبه ابتسامة على شفتيه وهو يقول: «أهو أنت يا جولي؟»

فكاد قلبها يكف عن الخفقان للبهجة الغامرة التي شملت كيانها والشوق العامر إليه، وقالت: «نعم أنا.» وجلست وهي تتابع برقة: «لقد اصطدم رأسك وأنا قلقة عليك. كيف حالك؟»

فقال وهو يئن قائلاً: «أسوأ ما يمكن.» فهتفت به: «نيكولاس.» ولكنه ضحك وهو يقول: «كلا، إنني سأشفى.»

فهدأت لحظة ثم قالت: «هل أنت واثق من أن كسراً لم يحدث في جمجمتك أو في اي مكان آخر؟» كانت تتحدث بقلق بالغ. فقال لها: «واثق تماماً. حسناً إلى حد ما في الواقع. هل تضررت السيارة كثيراً؟»

أجابت: «إنها لن تتحرك، فقد صدمنا حجراً كبيراً.»

فسألها: «هل أنت بخير يا جولي؟»

أجابت: «إنني بخير تماماً.»

قال ببطء: «تبدين بالغة الشحوب.»

فأجابت: «لقد كنت.. كنت قلقة لأجلك.»

سألها: «كم بقيت غائباً عن الوعي؟»

أجابت: «نصف ساعة. لقد أخذت بوضع كمادات باردة على رأسك، ولكنني عدت فخشيت عليك من انخفاض الحرارة لأن الجو كان شديد البرودة على كل حال.»

رفع يده ولمس صدغه، فأجفل، وقال: «أشكرك. إنني أشعر وكأنني بالغ الغباء.» وحاول الاعتدال في جلسته وهو يتابع قائلاً: «لقد كنت مسرعاً في السير... حسناً، فلنحاول أن نرى ما يمكننا عمله الآن.»

واستطاع، بطريقة ما، أن يجعل السيارة تتحرك فتابعا طريقهما نحو المنزل ببطء بالغ.

وعندما اكتنفهما الدفء في المطبخ، عادت تسأله: «اسمع. هل أنت واثق من أنك بخير؟ إن حالتك تبدو سيئة للغاية.»

فأجاب: «إنني لست بحاجة إلى أكثر من حبتي أسبيرين وفنجان شاي ونوم مريح. ما هذا؟» وأخذ من يدها قطعة

نسيج فاخر ذات لون ابيض موشى بأزهار صغيرة زرقاء، كانت ممسكة بها، فقالت: «آه، إنها قطعة من ملابسي لم أجد سواها استعمله في عمل كمادات باردة لك.»

فلوى شفتيه قائلاً: «لقد ظننت أن... لا تنظري إلي بهذا الشكل.»

فسألته: «وبأي شكل أنا أنظر إليك؟»

فأجاب بجدية: «يبدو عليك وكأنك تساءلين نفسك عما اذا كان عليك أن تلقي عليّ محاضرة أخرى في أن من الوقاحة أن أتحدث عن ملابسك أو عن أشياء أخرى...»

فاحمر وجهها، ثم سمعت نفسها تقول: «إذا كنت بخير وليس ثمة ما يمكنني عمله لأجله، فسأذهب إلى فراشي.»

فأجاب ساخراً: «أظنها فكرة جيدة، فأنا بخير.» ولم تدرك ما إذا كانت سخريته هذه هي منها أم من نفسه، فتمنت له ليلة سعيدة ثم هرعت إلى غرفتها مضطربة.

ولكنها عندما استلقت على فراشها، سمعته يتحرك في غرفته المجاورة لغرفتها ليسود بعد ذلك صمت عميق. وحاولت أن تنام، ولكن خفقان قلبها منعها من ذلك.

وفي الأيام القليلة التي تلت، أقلقها ما أصبح عليه من تعكر في المزاج.

قال مايك متفلسفاً بعد أن تلقى نظرة صاعقة منه لذنب طفيف اقترفه: «إنه الصداع الذي يشعر به.»

فقالت غريس: «نعم، إنه الصداع.» وكانت لهجتها بالغة القلق إلى حد جعل جولي تقول عابسة: «حسناً. لا أدري لماذا لا يذهب رأسه إلى الطبيب.» لقد نسيت الآن قلقها الشديد على ما قد يكون حصل لرأسه.

فقالت غريس: «أنا واثقة من أن الأمر غير خطير، ولكن صدمة كتلك من الممكن أن تصدع الرأس أياماً. سأحاول أن أصنع لأجله نوعاً خاصاً في العشاء.»

فقال مايك: «حسناً. أظن أن عليّ تجنبه فترة.» ماجعل جولي تضحك.

ولم تفلح المواجهة التي حدثت بينهما أخيراً، في تهدئة مشاعرها وعدم شعورها بالارتياح، نتيجة ادراكها أنها وقعت في حبه مع سابق علمها بأنه لا يحبها...

ابتدأت المواجهة، يوم جاءت فيرا لتتناول الغداء معهما بعد حادث السيارة بيومين. وكان مازال عليه أثر الكدمة ما جعل فيرا تسأله عن ذلك، وبدا هذا طبيعياً في نظر جولي.

كان نيكولاس يخبرها بما حدث له عندما استدعي إلى مكالمة هاتفية، وكانوا جميعاً حول مائدة الغداء.

قالت فيرا بمكر وقد بدت في عينيها الخضراوين نظرة عدائية: «أرجو أنك تعتنين جيداً بزوجك.»

فرفعت جولي حاجبيها قائلة ببرود: «وما الذي يجعلك تظنين أنني لا أقوم بذلك؟»

فتمتمت فيرا: «لا شيء، إنها مجرد كلمة عابرة. لقد تذكرت أنكما، في آخر مرة رأيتكما فيها معاً، لم تكونا منسجمين تماماً.»

فصرفت جولي بأسنانها قائلة: «ليس لك دخل في هذا الأمر يا فيرا.»

فتمتمت هذه: «آه، آسفة إذ جعلتك تستائين مني.»

فردت عليها جولي قائلة: «سأخبرك بما سيسبب لك

الاستياء أنت أيضاً، وهو أن ليس لديك الشجاعة لأن تقولي شيئاً كهذا في حضور نيكولاس.»

وجاءهما صوت نيكولاس الذي كان قد عاد إلى الغرفة، سائلاً ببرود: «الشجاعة لأن تقول ماذا؟»

فساد صمت قصير، قالت جولي بعده: «لا شيء.» فقال ساخراً: «إذا كنتما تتشاجران، فهل لكما أن تنهيا ذلك؟ إن أمامنا، يا فيرا، حديثاً طويلاً بشأن العمل، فأنا سأكون شاكراً لك جداً لو حصرت أفكارك بشأن سوق بيع الأمهار القادم.»

فاحمر وجه فيرا، ولكن جولي منحتها ابتسامة حلوة، وكذلك منحت زوجها مثلها وهي تفكر في أنها لا بد مجنونة إذ تظن أنها تحبه، ثم قالت بلهجة باتة تنذر بالخطر: «لقد أخرستنا، نحن الاثنتين معاً، يا نيكولاس. ألا تشعر بأن عليك أن تفرض علينا أن نكتب مئات من الأسطر عقاباً، بعد الغداء نكرر فيها مثلاً لا تتشاجرا؟»

فتوتر فمه وبدت في عينيه الرماديتين نظرة عنيفة وهما تستقران عليها، ليقول بلهجة تقد الفولاذ: «لم يمض عليك وقت طويل منذ تركت المدرسة، اليس كذلك يا جولي؟»

لو لم تكن فيرا موجودة، لأفرغت صحفة حسائها على رأسه حتماً، ومع هذا فما قامت به كان يماثله في السوء، فقد وضعت الملعقة من يدها بصوت مسموع، ثم قالت بهدوء بالغ: «لا أدري لماذا فقدت شهيتي للطعام، فلماذا إذن لا أترككما أنتما الاثنين لتتبادلا احاديث الناس الناضجين؟ نعم، فالحقيقة أنكما أنتما الشخصين الناضجين تسببان لي الضيق إلى حد استدرار دموعي. استمتعا بوقتكما.»

ثم نهضت خارجة من الغرفة بقدر ما أمكنها من التظاهر بالمرح. ولكن، عندما عثر عليها نيكولاس، بعد ذلك بعشر دقائق، في اصطبلات الخيل، كانت في عينيها دموع حقيقية تنهمر على خديها. كانت دموع الألم والغضب بينما كانت تحمل المذراة محاولة أن تضع بها مقداراً من القش في مربط الحصان.

لقد نبهها إلى حضوره ظله الطويل الذي امتد أمامها على المربط فتوقفت عما كانت تفعل، لتستدير إليه قائلة بمرح يشوبه الازدراء: «هل انتهيتما بهذه السرعة؟»

فهتف بها وهو يمد يده ليأخذ المذراة من يدها: «جولي.» وعندما قاومته، أردف بحزم: «لا تكوني حمقاء، فأنت ستؤذين نفسك بحملك هذه.» ولكنها استمرت في مقاومته إلى أن تمكن في النهاية من أخذها منها ووضعها جانباً. عند ذلك حملقت فيه، ثم مرت بجانبه حيث ألقت بنفسها على كيس من القش وهي تقول: «لا بأس. إنني واثقة من أنك جئت لكي تخبرني كم أبدو طفلة مرة أخرى.»

فأجاب: «ليس هذا ما أردته، في الواقع، ولكنني سبق وأنذرتك مرة، يا جولي، بأن بامكانك أن تتشاجري معي، على انفراد، قدر ما تشائين، ولكن ليس أمام الناس.»

فقالت بتعجب ساخر: «أتشاجر معك؟ إنك أنت الذي ابتدأت. وسأقول لك شيئاً، يا نيكولاس ويلز. إنني أنا أيضاً لا أحب الشجار أمام أحد ولكنني لن أسكت عن اهانتي امام الناس. إنك محظوظ إذ لم أفرغ صحفة الحساء على رأسك.»

فقال: «إنك تنخرطين بمشاجرات بشكل أكثر مما ينبغي.»

فقالت بكبرياء: «ذلك فقط إذا حدث ما يستفزني من تظن نفسك؟ إذا كنت تريد زوجة حقاً، فعليك أن تعاملني إذن كزوجة.»

فقال ببطء: «وإذا أنا عاملتك كزوجة، يا جولي فهذا لن يستمر في الحدوث.» ثم أضاف بابتسامة مفاجئة: «ولكن علي أن أعطيك علامة جيدة جداً على شجاعتك وحيويتك البالغة. فأنا أتساءل الآن كيف كان بامكان أبيك أن يتصرف معك وكذلك مدرستك؟»

فحدقت جولي به، ثم همست فجأة: «إنني أكرهك، يا نيكولاس. لقد كنت مجنونة إذ ظننت نفسي...» وسكتت فجأة.

فرفع حاجبيه يسألها: «ظننت نفسك ماذا؟»

فقالت: «لا شيء.» ونهضت، ولكنها وجدته يسد عليها الطريق. فرفعت بصرها تنظر إليه لحظة طويلة حافلة بالتوتر، ثم انخفضت كتفاها فجأة، وهي تقول بلهجة متعبة: «والآن ماذا؟»

فقال: «ما الذي قالته لك؟»

فغرت فمها، ثم قالت: «أتعني...؟»

فقاطعها: «أعني فيرا.» قالت بترفع: «إنني لن أخبرك يا نيكولاس، فقد كان بامكاني التصرف معها وحدي.»

فقال بجفاء: «إلى أن تدخلت أنا في الأمر.»

قالت: «نعم.»

سألها: «هل هو شيء يشير إلى أننا... غير متلائمين أحياناً؟»

رفضت أن تتكلم رغم أن عينيها لم تتحولا عن عينيه.

وبعد لحظة طويلة، ضحك وهو يقول: «يا لك من زوجة عنيدة مزهوة بنفسها إلى درجة لا تقدر. لقد أعدت فيرا من حيث أتت بعد أن ألقيت عليها درساً.»

فاتسعت عيناها قائلة: «لماذا؟»

فأجاب مقطباً جبينه: «لماذا؟ لأنك زوجتي بينما هي مساعدتي فقط.»

فقالت: «إذا كانت هذه هي المسألة، فلماذا...» وسكتت وهي تنظر إليه مقطبة بارتباك.

فقال يكمل كلامها: «لماذا قلت لك تلك الكلمات المدمرة بالنسبة إلى الشجار؟ حسناً يا جولي، علي أن أكون صادقاً واعترف لك بأن هناك أوقات لا يكون من السهل علي فيها القيام بدور الزوج.» قال ذلك وهو يشملها بنظرة ذات معنى، فاحمر وجهها، ثم همست: «هل هذا... هل هذا هو السبب الذي جعلك سيء الطباع وليس الصداع؟» وحملقت فيه، فقال هازلاً: «حسناً، إن رأسي لا دخل له بالأمر.»

فقالت باضطراب: «إنني لم.. لم أدرك ذلك، الآن فقط. إنني لا أعرف بالضبط ما علي أن أفعله بهذا الشأن. ليس بامكاني هكذا فجأة... أن اشاركك حياتك بتفاصيلها... فأنا قبل لحظة واحدة فقط كنت واثقة من أنني أكرهك.»

فقال وقد بدت في عينيه نظرة مكر: «والآن، بعد لحظة؟»

أجابت: «لم أسامحك بعد تماماً، وربما سأبقى متضايقة مما حدث لبعض الوقت.»

فنظر إليها وقد بدا في عينيه شيء لم تستطع فهمه، شيء جعلها تشعر بنفسها صغيرة جداً، وأدركت مبلغ ما في قولها

هذا من عدم عقلانية، فأغمضت عينيها فجأة شاعرة بالارتباك.

وسمعته يقول: «لماذا إذن لا نفكر بالأمور من زاوية مختلفة؟»

ففتحت عينيها ثم نظرت إليه مقطبة، وسألته: «ماذا تعني؟»

أجاب: «لقد ابتدأنا هذا الأسبوع بنوع من الانسجام، فلنحاول العودة إلى ذلك.»

قالت: «لا بأس.»

فقال: «أيمكننا أن ننهي غداءنا الآن؟ إنني لا أعرف بالنسبة إليك، ولكنني أنا جائع جداً.»

الفصل الخامس

وهذا ما فعلاه. وعادت الأمور في البيت إلى ما كانت عليه من مرح.

كان مايك يمضي ساعات قليلة يومياً في الحديقة يصلح التلف الذي أحدثه بالمزروعات وقن الدجاج. وكان يكافأ على مجهوده هذا بجولة في الطائرة، أو جلسة في التراكتور أو حتى مرافقة نيكولاس. وكان لجولي نصيب في كل هذا، أما غريس، وهي ترى من الرضى في وجه ابنها ما لم تره من قبل، فقد كانت تنظف وتغسل وتطبخ الأنواع اللذيذة حتى أن مظهر القلق والعصبية في وجهها قد ابتدأ يتلاشى.

ولكن جولي ما فتأ يتملكها هاجس كون وضعها هذا لا يمكن أن يدوم طويلاً، وأن عليها أن تقرر في أقرب وقت. واعترفت لنفسها بأنها، اذا هي استثنت مشاعرها الخاصة، فان ليس بامكانها مقاومة جمال تلك اللمحات في المشاعر وهي تفكر في حبها لمزرعتها أو لتلك اللحظات من الانسجام بينها وبين نيكولاس. وتساءلت أين ذهب كل ذلك الشعور وهي تفكر في ما كان خطر لها مرة وهو جعله يندم على الزواج منها، وكذلك خاطر آخر وهو الفكرة الجنونية في أن تستعبد نيكولاس ويلز فانتهى بها الأمر باستعبادها لنفسها بهذا الحب. أما ما كانت ستفعله لو تحقق لها ذلك فهذا ما لم يكن واضحاً لديها، ولكنها كانت لا بد سترحب

بذلك. والآن، بعد أن أصبح تفكيرها أكثر وضوحاً، أدركت أن زواجها منه لم يكن في الواقع غير وارد. في الحقيقة كان هنالك دوماً، في أعماقها، ما يجذبها إلى هذه الفكرة.

أخذت تخاطب نفسها بألم: لا بد أنني كنت دوماً أكن له شيئاً من الحب. وكل ذلك الغضب سببه الكبرياء المجروحة لا غير، لأنه يبادلني نفس الحب. وأخذت تتساءل عما هو أسوأ، هل هو الزواج من رجل تكرهه، أم هو الزواج من رجل تحبه ولا يحبها؟ حتى ولو قررت العيش معه، كيف تتخذ الخطوة النهائية...؟

كان من المثير للسخرية، أن ما ساعدها على تحقيق أملها الكامن في الزواج منه، هو نفسه الذي كان يحول بين نيكولاس وبين أن يحبها بالقدر الذي تعتقد هي أنها تحبه.. لقد ذكرت مرة اسم جنيفر سوارد أمامه... ذلك أن علاقتهما كانت وثيقة واستمرت فترة طويلة. لقد كان هذا الاسم، جنيفر، هو الوحيد الذي كان التصق باسم نيكولاس... وفجأة، إذا بجنيفر تتزوج من شخص آخر، من رجل يكبرها كثيراً وغاية في الثراء ومطلق مرتين. أما ما لم تتوقعه جولي فهو أن تقابل جنيفر شخصياً وفي مزرعة نيكولاس موركنغ.

كانا قد أخذا مايك وأمه للتفرج على الأمهار التي كانت ستؤخذ للبيع قريباً. وكانت غريس في قمة البهجة لأنها كانت المرة الأولى التي تركب فيها الطائرة. ولم يعلموا فيرا بالأمر سوى بتحويم الطائرة فوق مكتب اصطبلات خيول السباق، وكانت هذه هي طريقة نيكولاس في إخبارها بوصولهم. ووصلوا، وكانت هناك طائرة أخرى

جاثمة في المدرج أخذ نيكولاس يحدق فيها عابساً.. كانت طائرة جنيفر وزوجها. وتقابلوا جميعاً في مكتب الاصطبلات وفيرا معهم محمرة الوجه يبدو عليها الاضطراب وكأنها لم تكن تصدق ما يحدث.

وقالت له وهو يصعد السلم: «أوه، يا نيكولاس، إن... وجود السيد سوارد هنا هو بشأن الفرس هانتر... إنه... مهتم جداً بطريقة تنشئتها وقد استدعاني باللاسلكي وأخبرني أنهما يحلقان فوق مزرعة موركنغ وسألني عما إذا كان بامكانه القاء نظرة على الفرس..»

فأجابها بلطف: «ليس ثمة مشكلة يا فيرا.» ثم شمل الغرفة بنظرة لتقعا على الزوجين اللذين كانا جالسين في وسطها. وقال: «جنيفر، ستيف، كيف حالكما؟ لا أدري إذا كنتما سبق وتعرفتما إلى جولي من قبل.»

إنها جنيفر سوارد. ودار رأس جولي حين ساد صمت قصير. إنها مازالت جميلة، في حوالي الثلاثين من عمرها، سوداء الشعر طويلة القامة رشيقة القد تحيط بها هالة من الرقة... كانت كذلك حين قابلتها جولي لأول مرة منذ سنوات، أما الآن فقد تبدلت تلك الرقة إلى شيء آخر من الصعب تحديده بسوى القول إنه أشبه بهاجس ما يتملكها.

فتقدمت جنيفر قائلة: «نعم، لقد سبق وتقابلنا مرة، يا جولي، ولا أدري إذا كنت مازلت تذكرين ذلك. ستيف.» واستدارت نحو زوجها الذي كان يبدو في بداية الخمسين من عمره، طويل القامة نحيفها، وتابعت قائلة: «إنها جولي برايت من ستورم، جارة سام.»

كان الصمت، هذه المرة، صاعقاً، حتى أن فيرا اغمضت

عينيها بينما كان نيكولاس يقول بهدوء: «في الواقع، يا جنيفر، أننا، أنا وجولي، تزوجنا منذ اكثر من شهرين.»

فتحول نظر جنيفر إلى عينيه بعنف، ولكن هذه كانت الاشارة الوحيدة التي أظهرت بها اهتمامها بهذا الخبر، لأنها تمتمت بعد لحظة قائلة: «لقد أمضينا مدة طويلة في رحلة وراء البحار. آه إنني أتمنى لكما انتما الاثنين، كل سعادة، نحن الاثنين، أليس كذلك يا ستيف؟» واستدارت إليه.

وفي ذلك المساء بالذات، كانا جالسين في غرفة المكتبة، كما اعتادا مؤخراً يومياً بعد العشاء، حين قالت جولي تخاطبه: «نيكولاس؟»

فأجاب: «نعم.»

فقالت: «أظن أن عليك أن تحدثني عن جنيفر سوارد.» فمد ساقيه أمامه ثم نظر إلى نيران المدفأة لحظة قبل أن يسألها: «ما الذي تريدين معرفته؟»

فأجابت: «لماذا لم تستطع أن تخفي دهشتها لخبر زواجنا. ولماذا، على اعتبار الماضي، أحضرها زوجها إلى مزرعتك موركنغ، وليس فقط شراء الفرس هانتر؟»

أدار نظراته إليها وأجاب: «بالنسبة إلى الفرس هانتر فهي أفضل الجياد عندي، فهي تبدي تجاوباً بديعاً، كما أنها من سلالة رائعة، ما جعلني أرفع سعرها بحيث أن ستيف سوارد قد لا يستطيع دفعه.» وعاد ينظر إلى ناحية النار وقد بدا في نظراته التفكير العميق.

فقالت: «إذا كان الأمر كذلك فلماذا تعتزم بيعها إذن؟» وبعد لحظة طويلة هز كتفيه قائلاً: «إن لدي أمها وجدتها

و... هانتر الأب. لقد كان حصان رهان ولكنه أثبت ذاته كأب الآن، وهكذا بامكانك أن تقولي إنني لم أعد أملك ما يمكن تقديمه للسباق إذ كل ما بقي في المزرعة هي الجينات الوراثية. إن هذا لا يعني أن كل شيء مؤكد بصورة مطلقة، فان بامكاني أن أحتفظ بالفرس هانتر وأقدمها للسباق، وقد تفشل... فهذا يحدث دوماً بالنسبة إلى الخيل. لقد كنت أتمسك دوماً بما كنت أظنه الأفضل، لأرى بعد ذلك أنه لم يكن كذلك.»

فقالت: «ولكن المهر، أعني سلالة هانتر حتى ولو لم تتسابق جيداً...»

فقاطعها: «إنها قد تكون عاقراً، وقد تدخل الأسيجة، وقد يصيبها المغص. وأيضاً أظن أنه ما كان علي أن أبقي على اهتمامي بها، لو لم اكن أملك أمها وجدتها، فأنا أعتبر نفسي مربي خيل بشكل أساسي، أما خيول السباق فهو موضوع آخر.»

فحملقت فيه جولي قائلة: «لا بأس، أظن هذا منطقياً. ولكن لماذا يرغب ستيف سوارد في شرائها؟ أعني منك؟»

فابتسم بفتور قائلاً: «إن ستيف سوارد هو رجل سباق قبل كل شيء. فالخيل بالنسبة إليه، هي فوق كل شيء.»

فقالت: «حتى ولو عرض زوجته إلى مثل هذا الامتحان؟»

فألقى إليها بنظرة تحوي شيئاً من الاشمئزاز وهو يقول: «وما الذي جعلك تعتقدين أن ذلك كان امتحاناً؟ لقد انفصلنا أنا وجنيفر منذ سنتين.»

ترددت جولي، ثم قالت ببساطة: «لماذا؟» وظنت أنه لن يجيب، فعادت تقول: «أنني لا أسأل هذا من باب التطفل...»

فرفع حاجبه يسألها: «أليس الأمر كذلك؟» فقالت بشيء من الغضب: «كلا، ولكن حدسي يخبرني بأنه قد يكون في هذا شيء يتعلق بالسبب الذي جعلك تتزوجني. فلماذا أبقى أنا جاهلة به؟»

ورفعت ذقنها متحدية وهي تلفظ الجملة الأخيرة.

فابتسم بكسل وكأنما لفكرة طرأت، ثم قال: «حسناً. لقد اكتشفت جنيفر أنها لا يمكن أن تنجب أطفالاً.»

فحملقت فيه فاغرة الفم، ثم قالت: «وهكذا لم تشأ أن تتزوجك مفضلة أن تتزوج رجلاً سبق له الانجاب. آه يا نيكولاس، كم هذا محزن.»

فقال: «والآن، لا تدعي العاطفة تجرفك، يا جولي. فالقضية ليست مأساوية بالشكل الذي تحاولين إظهاره.»

فقالت: «ولكن لا بد أن الأمر كذلك! ذلك أنه إذا كان هناك شخصان يحبان بعضهما حقيقة...»

فقاطعها بازدراء: «إن ما تتحدثين عنه هو من نوع الحكايات الخرافية، يا جولي.»

صمتت للحظة ثم قالت: «ولكنها كانت تبدو أحياناً ساهمة.» فلم يقل شيئاً، وأخذ يحدق في لهب النيران إلى أن عادت تقول: «وأنت لم تغفر لها ذلك قط يا نيكولاس، أليس كذلك؟»

فنظر إليها وقد فرغ صبره وقال: «لقد غفرت لها طبعاً، فالحزن الذي رأيته على وجهها ربما كان سببه عدم قدرتها على الانجاب.»

فقالت: «إنني... حسناً... نيكولاس...» ونظرت إليه باضطراب، ثم تابعت: «إنني لا أعلم عن هذا، ولكن هل أنت

واثق من أنك لم تتزوجني لأنه لم يعد يهمك من تتزوج من بعدها؟»

فلوى شفتيه وقد بدا في عينيه الهزل فجأة، ثم قال: «جولي، إذا كانت هذه هي القضية، وهي أنني إنما تزوجت لمجرد الزواج نفسه، ألا تظنين أنه كان بامكاني أن أجد لنفسي زوجة أكثر ملاءمة لي؟»

فقالت: «أظن ذلك، ولكن لا تنس أن ليس ثمة من تملك نصف مزرعة ستورم سواي.»

فقال بازدراء: «هذا صحيح. إذن فأنت ذات فوائد متعددة.» فزمت فمها وهي تقول بمرارة: «وأنا كذلك في منتهى الاستياء لزواجي العملي هذا. هذا ما سبق وقلته لي.»

فقال برصانة: «إني أعتذر، إنما ماذا كان يمكن أن يكون عليه شعورك لو أنني كنت وصفته بشكل أننا كنا صديقين ذات يوم؟»

أجابت: «ربما كان هذا أعجبني أكثر.»

فقال: «وهل كنت ستعترفين بذلك؟»

فتحت فاها، ثم أقفلته، وأحمر وجهها، ثم قالت ساهمة: «لا ادري ما الذي ترمي إليه، يا نيكولاس. ولكن ما أريد قوله هو أننا ارتبطنا بزواج دون حب... وقد ابتدأت أرى السبب.»

قال: «إنما مسألة عدم احتوائه على الحب، لم تتأكد بعد بالتجربة. لقد سبق وأخبرتك أنه من وجهة نظري، هو عبارة عن التزام وليس مجرد افتتان مؤقت سرعان ما ينتهي. وأنا أعني هذا. ولاحقاً، ستدركين ما أعني.» ووقف وأخذ يتمطى، ثم تابع قائلاً: «هنا ينتهي الدرس، ولكن ربما

بامكاني أن أقول شيئاً آخر، وهو أن الشاعرية وضوء القمر والحديث عن الحب الدائم، كل هذا كلام جميل، وفي الواقع... أنا لا أنتظر منك أن تعيشي خالية منها تماماً.» وابتسم لها فجأة، ثم أضاف قائلاً: «ليس أنت، ولكن هناك كثير من الفتيات الخياليات اكتشفن ذلك على حسابهن. لهذا لا تنتقدي كون الزواج عملياً بهذه المرارة، فهو غالباً مبني على أساس قوي دائم.»

فقالت عابسة: «ولماذا ليس أنا؟»

فرفع حاجبه بتكاسل وهو يسألها: «لماذا ليس أنت ماذا؟»

فأجابت: «لماذا لا تتوقع مني أنا أن أعيش، بخلاف الآخرين، من دون كل تلك الأشياء التي أخذت تنتقدها بمرارة؟»

فلوى شفتيه قائلاً: «ألست جولي برايت التي من أجلها قاد شاب ذات يوم، طائرة فوق ميناء سيدني مدلياً راية في الفضاء مكتوباً عليها عرضه الزواج بك؟»

فبدا السخط في عينيها وقالت: «لا أظن من العدل أن تلومني لأجل هذا، فأنا لم أعطه قط سبباً يجعله يتصور ذلك.»

فقال عابساً: «ربما الأمر كما تقولين. ولكنني أتذكر أن الصحف كتبت عنك بأنك دون قلب لأنك لم تهتمي به.» وضحك وهو يتابع: «ومع هذا، فقد اعترضت طريقك لمحات شاعرية. عليك أن تعترفي بذلك.»

فقالت بكبرياء: «هذا صحيح. ولكنني، كما ترى، لم أكترث بأي منها. لم يستطع أحد أن يدفعني إلى الزواج

بواسطة الورود وضوء القمر. إنك الوحيد الذي قمت بدفعي لذلك.»

قال بلطف: «ولكنك في العشرين من عمرك فقط.» قال ذلك متجاوزاً عن بقية كلامها، فأجابت: «ربما كنت كذلك، ولكنني لست حمقاء تماماً.» ووقفت وهي تتابع قائلة: «علي أن أفكر الآن ملياً في ما حدثتني به، وآمل أن لا يكون لديك مانع في هذا.»

فأخذ يمعن النظر في مظهرها الشجاع، ثيابها الأنيقة، واستقرت نظراته برهة على شعرها المسترسل، وأخيراً على وجهها. وكان ثمة شيء في نظراته جعلها تحبس أنفاسها وقد تنبهت مشاعرها نحوه بشكل مغاير. شيء في عينيه هو إعجاب دون شك. وغمرت كيانها مشاعر أصبحت مألوفة لديها، هي ارتفاع خفقات قلبها وتوقع جعلها ترتجف. وحولت نظراتها عنه باضطراب. كلا، إنه لن يؤثر علي بهذا الشكل، خاصة بعد كل ما حدثني به عن جنيفر.

وقال يجيبها: «بكل تأكيد يا جولي.»

وتحولت عنه متجهة نحو الباب وهي تتمنى ألا يلاحظ ما بذلته من جهد لكي تظهر متمالكة نفسها بشكل طبيعي.

رغم تلك النظرة المحيرة، فان جولي قد لاحظت، في الأيام القليلة التي تلت، أن نيكولاس أصبح منطوياً على نفسه، دائم التفكير. وفي الواقع، أخذ يمضي كثيراً من الوقت في مزرعته موركنغ ما أثار اشمئزاز مايك.

ولم يكن بامكانها تجنب التفكير في مبلغ تأثير تلك المقابلة بينه وبين جنيفر عليه. كما أنها تذكرت أنه لم ينكر قط أنه كان واقعاً في غرام جنيفر. وكانت لا تفتأ تحدث

نفسها بأن كل شيء أصبح واضحاً الآن، فالانسان لا يتزوج بالطريقة التي تزوجها هو بها إلا إذا كان ثمة سبب كهذا وراء ذلك. والآن، ماذا عليها أن تفعل؟

هذا إلى أنها، أثناء تلك الأيام القليلة، لم تستطع أن تصل إلى قرار وذلك بسبب تشوش غريب في مشاعرها.

ولكن، ليحدث فجأة شيء لم يكن متوقعاً قط.

كانت جالسة إلى البيانو تعزف قطعة لشوبان عندما دخل نيكولاس والذي لم تكن رأته منذ يومين... وكان قد وصل بعد العشاء الذي كانت غريس قد حفظته ساخناً لأجله، واختار أن يتناوله في المطبخ حيث أخذ مايك يعدد له ما كان قد قام به في الأيام الماضية.

وكانت جولي قد مكثت معهم برهة، ثم ذهبت إلى غرفة المكتبة حيث أخذت تعزف بهدوء، وعندما أغلق الباب خلفه رفعت نظراتها إليه، فشعرت بقلبها ينقبض. كان مرتدياً بنطال جينز وكنزة سوداء، وكانت تسود ملامحه علامات الارهاق كما كانت الكآبة تطل من عينيه. وسألها وهو يراها تحدد النظر إليه: «ماذا حدث؟»

أجابت: «لا شيء. لقد كنت على وشك أن أوجه إليك نفس السؤال.»

فقال: «لماذا؟»

أجابت: «لأنك تبدو متعباً. هذا هو الأمر.»

فهز كتفيه قائلاً: «إنني متعب حقاً. إن ترويض خمسة وعشرين من الأمهار وتجهيزها للبيع هو عمل مرهق.» وجلس ثم أراح ظهره إلى مسند الكرسي وهو يتابع قائلاً: «تابعي العزف. كيف تعلمت العزف بهذه البراعة؟»

فأجابت عابسة: «إنها المدرّسة فريديريكا في مدرستي. لقد كانت تلزمني بالجلوس إلى البيانو. لقد كانت إمرأة حازمة، وفي النهاية ابتدأت أحب ذلك.»

فسألها: «هل كانت معلمة الموسيقى؟»

فأجابت: «كانت أكثر من ذلك بكثير. كانت مديرتي وتسبب لي القلق في أغلب الأحيان. ولكن، عندما أعود بذاكرتي إلى الوراء، فأنا أرى أنها كانت حكيمة، وسأقدّرها على الدوام.»

عادت إلى العزف، ولاحظت من زاوية عينها أن يديه كانتا على ذراع الكرسي، تنقبضان وتنفرجان، ثم تسترخيان، أما الذي لم تلحظه فهي الطريقة التي كان يتأمل فيها ظهرها المستقيم، ورفة أهدابها أثناء تركيزها على العزف، ثم كيف كانت تعض باطن شفتها كلما تصاعد من تحت أناملها لحن رقيق مؤثر...

لقد وجدت نفسها تفكر في المدرّسة فريديريكا أثناء عزفها هذا. تلك المدرّسة العنيدة إنما الحكيمة والتي كانت لديها آراء بالغة الوضوح في كل موضوع بما في ذلك دور الزوجة والذي كان يحظى منها بأغلب الاهتمام.

ولا بد أنها عزفت لأكثر من ساعة وهذه الأفكار في رأسها، إلى أن ابتدأت تتساءل عما إذا كان هو قد نام، ولكن عندما اغلقت البيانو بهدوء ووقفت، رأت أنه لم يكن كذلك.

قال عابساً: «إنني آسف، ولكن يبدو أن صحبتي مملّة هذا المساء، أليس كذلك؟ لقد أراحني عزفك هذا تماماً.»

فترددت، ثم جلست قبالته وقالت ببطء: «إنني آسفة إذ لا أستطيع تقديم المزيد من الشعور بالارتياح المتعارف على

أن من المفروض أن توفره الزوجة لزوجها، ولكنني لا أظن أن بامكاني أن أكون لك بديلة عنها هذه الليلة، أليس كذلك؟»

رأت فمه يتوتر لحظة، ثم لاحظت أنه يحاول تمالك نفسه وهو يقول ببطء: «هذا إذن ما يقلقك؟ جنيفر مرة أخرى.»

فأجابت: «نعم، ولكن قد يدهشك أن تعلم كل ظنوني بشأن هذا الموضوع.»

رفع حاجبيه قائلاً بازدراء: «حسناً، هاتي ما عندك.»

أخذت تسوي من ثنايا تنورتها الطويلة وكان شعرها مربوطاً إلى الخلف ببساطة بشريط أخضر، وأجابت وهي ترمقه بطرف عينيها: «هل... هل تصدق أنني أظن أن الحياة العائلية تفتنني، يا نيكولاس؟»

فقال: «أظن عليك أن توضحي ما تريدين قوله.»

فقالت: «إنني أعتقد أن بامكاني أكون زوجة صالحة تماماً، عاقلة ومكافحة... ربما ستضحك مني الآن...»

فقال مقطباً جبينه: «كلا، ولكن متى خطر لك كل هذا؟»

ففكرت في أن ذلك قد خطر لها منذ رأته يدخل عليها هذا المساء، وعندما فكرت في المدرسة فريديريكا. كل ذلك ظهر لها بجلاء، ولكنها قالت له: «منذ عدة أيام.»

فقال: «حسناً...» وسكت يمعن النظر فيها متفحصاً، ليتابع قائلاً: «ماذا تريدين أن تقولي؟»

فأجابت: «هذا في الحقيقة راجع إليك، أعني...» وترددت لحظة ثم اكملت قائلة: «إذا كنت مازلت تشعر بأن بامكاننا أن نستمر...»

فقال: «إنني لم أغير رأيي قط يا جولي...» وسكت برهة ثم عاد يقول: «لا أظنك على وشك أن تضحي بنفسك في

تخيلاتك المسرحية لما حدث مع جنيفر، أليس كذلك؟»

فقالت: «إلا إذا بقيت قريبة من نفسك بهذا الشكل.»

ولاحظت أنه يتمتم شاتماً، ولكنها تابعت بشجاعة تقول: «حسناً، لقد قلت لي بنفسك مرة أن أكثر الناس يأتي عليهم وقت صعب ينبغي أن يعالجوه بروح مرحة. وهكذا...» ورفعت ذقنها وحدقت في عينيه بكبرياء.

صدرت عنه شتيمة واضحة، وقال بخشونة: «أتدركين كم يبدو عمرك الآن، يا جولي؟ حوالي السادسة عشرة.»

فأجفلت وقالت ببراءة: «إنني أشعر بنفسي أكبر من ذلك يا نيكولاس. إنني أعرف كم أبدو أمامك صغيرة، ولكنني أشعر الآن، لأول مرة في حياتي، بأنني امرأة وقد ابتدأت أفهم ما هي خياراتي، كما أظن، وهي إما ان أبتعد من هنا، أو أحاول أن أبني معك شيئاً ذا قيمة. لكنني أدركت أنني لو كنت أملك الشجاعة للابتعاد عنك، لفعلت ذلك منذ البداية. وأيضاً أدركت أنك حتى ولو لم تحبني بالقدر الذي أحببت به جنيفر، فأنت تهتم بي كما كنت تهتم بها، فالحق إذن معك، فهناك ما يستحق أن نكافح لأجله.»

فقال بهدوء شديد، لاحظت معه لمحة ألم في عينيه: «وماذا لو أن... الطريقة التي سأحبك بها لم تكن كما تتوقعين؟»

فقالت: «هل تعني أنه إذا أنا وقعت في حبك، حقيقة ولكنك لم تشعر نحوي بنفس المقدار من الحب؟» وسكتت، ولكنه لم يجب، فعادت تتابع قولها: «إذن، فإن عليّ أن أفرغ كل حبي على مزرعتي ستورم وعليك أن تمنحني بعض الأولاد، يا نيكولاس. ولكن هنالك شيئاً عليّ أن أخبرك به

قبل أن تصمم على الأمر.» وترددت ثم سحبت نفساً طويلاً وتابعت تقول: «إن أحد الأسباب التي جعلتني أصمم على هذا هو أنه لم يسبق لي معرفة رجل من قبل.»

فقال: «أعلم هذا.»

فحملقت فيه وسألت: «ماذا؟ وكيف عرفت ذلك؟»

أجاب: «لأن براءتك بالنسبة لهذه الأمور تشع كالشمس.»

فقالت: «ولكنك كنت تقول...» وسكتت.

فقال: «كنت أحب أن أسايرك في كل ما كنت تقولينه متبجحة، يا عزيزتي. إنني كذلك...» وسكت وهو ينظر إليها وفي عينيه رقة غير عادية، ثم عاد يقول: «عرفتك مدة طويلة ودوماً كنت أكن لك الاحترام، يا جولي.»

فتمتمت وقد دار رأسها: «احترام. ولكن ماذا بالنسبة إلى عرض الزواج عليّ بواسطة طائرة فوق ميناء سيدني؟ كذلك كان لديّ بعض الأصدقاء...» ولمعت عيناها فجأة وقالت: «لكنني لا أتعمد أبداً الاغراء وغيره كما سبق وقلت لي.»

فقال: «اعتذر. في الواقع، كنت بهجة للنظر حين كنت في قمة انطلاقك. هل تعبيري هذا جيد؟ ولكن كان ما يزال واضحاً أنك فتاة جميلة مرحة لم يسبق ان كان لها علاقة بأحد.»

فحدقت فيه طويلاً، ثم قالت بصوت لا يكاد يسمع: «أتعرف ماذا أتمنى في هذه اللحظة، إنني أتمنى لو كنت زوجة متواضعة نشيطة لشخص يحبني.»

فقال بهدوء بالغ: «من الغريب أنني في هذه اللحظة كنت أتمنى لك نفس الشيء.»

قالت: «نيكولاس.»

ولكنه وقف وتقدم منها مادا يده وهو يقول: «جولي، إن بإمكانك دوماً أن تعودي فتقبلي الأمر الآخر الذي عرضته عليك. لقد كنت تحدثت مرة عن فسخ الزواج...» وأوقفها على قدميها وهو يتابع قوله: «إذا كان هذا حقاً ما تريدينه.»

ولم تدرك ما بدا في عينيها من خوف، ولكنها قالت بجهد: «هل... هل تقول هذا لأنك عدت فرأيت جنيفر؟»

فقال عابساً: «جولي. لقد سبق وانتهى الأمر بيني وبينها... إنني...»

ولكنها لم تدعه يستمر، فقالت في غمرة الخوف الذي يغلف قلبها: «حسناً، ربما، ما دام ليس بإمكانك الحصول عليها، كما أنه ليس بإمكاني الحصول على الشخص الذي... الذي في خيالي، والذي ربما هو غير موجود على كل حال. أتظن أن من الممكن أن نبقى معاً، فيواسي أحدنا الآخر؟»

وجاء دوره الآن يحدق في أعماق عينيها وقد بدا في عينيه ما يشبه الندم، ليقول بعدها: «يمكننا أن نجرب.»

قالت: «حسناً...» فقاطعها قائلاً: «أظننا تحدثنا عن هذا الموضوع بما فيه الكفاية. وأظن الوقت قد حان الآن لكي ندع الأمور تأخذ مجراها.»

مضت فترة قبل أن تدرك أنها على وشك أن تنسى كل شيء بما في ذلك جنيفر سوارد، إذ يبدو أنه قد استحوذ على كل مشاعرها. وأدركت وهي ترتجف أن هذا هو نوع العطاء الذي عليها أن تتوقعه منه. وعادت تحدق فيه بنظرات شاردة، لا تريده أن يتركها وقد غمر حنانه مشاعرها.

لم يكن من الانصاف أن يجعلها تشعر بكل هذا ولو أن هذه

المشاعر، في الحقيقة، كانت في أعماقها نحوه منذ مدة طويلة. ربما كانت موجودة منذ كانت في الرابعة عشرة.

وهمس نيكولاس: «بماذا تفكرين يا جولي؟»

أجابت: «ما زلت أظن أن علينا أن ننتظر...»

فقاطعها: «كلا، بل الآن. لقد انتظرنا بما فيه الكفاية وسيكون الأمر سهلاً عليك. أعدك بذلك.»

فهمست: «نيكولاس، هل تعني؟»

فقاطعها: «نعم، الآن، هذه الليلة.»

قالت فيما بعد: «إنني أشعر... أشعر بأنني تغيرت.»

قال وهو ينظر في عينيها: «أحقاً؟» كان في غرفة النوم مصباح واحد مضاء، وكانت النار خامدة في الموقد.

وعاد يسألها: «أخبريني.»

فأجابت: «أشعر بالاستحالة.. بأنني انتقلت من حال إلى حال، أليس هذا غريباً؟»

فقال: «كلا، أبداً. إنني أنا نفسي أشعر بشيء من ذلك. أتعلمين أنك جميلة بشكل لا يصدق؟ وماذا بالنسبة إليك أنت؟»

فأجابت: «إنني... نعم. لقد حدث لي شيء ما في غاية الروعة.»

فقال: «إذن، فكل شيء حسن.»

ولكنها قالت بجدية: «نيكولاس. أشعر بأنني كشفت عن مشاعري، وأنا قلقة لهذا.»

سألها: «ماذا تعنين بقولك إنك كشفت عن مشاعرك؟»

فأجابت: «جعلتك تعلم أنني أحبك.»

فقال: «لا تهتمي لهذا الأمر.»

عبست قائلة: «أظنك كنت تعلم هذا طوال الوقت الذي كنت أنا أتظاهر فيه بالعكس. إنما ما يقلقني بالنسبة لهذا الأمر هو أنه قد يصبح عبئاً عليك، ولهذا...»

قاطعها قائلاً: «كلا يا جولي. هذا غير صحيح ولن يكون أبداً، فلا تعودي إلى مثل هذا الكلام. دعينا مرتاحين نشعر بالسعادة. وبكلمة أخرى، نامي يا زوجتي الحلوة الثرثارة.»

وعندما فتحت عينيها عند الصباح وجدته يراقبها وفي عينيه شيء بالغ الرقة. وقال لها: «كيف حالك، يا سيدة ويلز؟»

فلوت شفتيها تجيبه: «بخير، شكراً لك يا سيد ويلز.»

ذهبا بعد الافطار في نزهة على الجياد حيث حدثته، لأول مرة منذ زواجهما، عن ارائها بالنسبة إلى المزرعة. واستمع هو إليها باهتمام واستحسان. ولكنه بعد الغداء، أخبرها أنه مشغول بعض الشيء، وهكذا أخذت كتاباً أمضت معه فترة بعد الظهر.

«جولي.»

رفعت بصرها لتجد نيكولاس واقفاً عند رأسها وفي عينيه نظرة غير عادية، ثم قال: «كنت اتساءل أين عسى أن تكوني... فقد كان المكان جد هادىء.»

فتمطت وتثاءبت وأغلقت كتابها، ثم ألقت نظرة على ساعتها، ثم هتفت بدهشة: «إنه وقت العشاء تقريباً. هل الزواج يفعل هذا بالشخص؟» وابتسمت له هازلة.

سألها: «يفعل ماذا؟»

قالت: «إنه يبعث على الكسل.»

قال: «ربما لهذا ابتدعوا شهر العسل.»

قالت: «لا بد أن الحق معك.» ومنحته ابتسامة مشرقة وهي تتابع: «لكي يساعد العرائس الجدد على تجاوز الصدمة.»

فقال وقد بدا الهزل في عينيه: «الصدمة؟»

قالت: «إن ما أعنيه هو...»

سألها: «وهل كان الأمر بمثابة صدمة لك يا جولي؟»

فخفضت أهدابها قائلة: «كلا، ليس هذا. إنما أعني أنه قد حدث أخيراً بعد كل تلك الأسابيع الصعبة الحافلة بالمشاعر المضطربة. كان المفروض على الأقل، أن أكون الآن في حالة تحليل لما حدث، لا أن استغرق في قراءة كتاب. آه، كلا...» وحملقت فيه بعينين هازلتين تتصنعان الرعب.

فقال: «إنك تبعثين القلق في نفسي يا جولي. ماذا عنيت بـ آه، كلا.»

فقالت: «لقد تذكرت الآن شيئاً سبق وقلته لي مرة.»

فقال: «أخبريني إذن قبل أن أموت من الفضول.»

فقالت: «يجب أن لا أخبرك حتى لا تقول لي إنك أخبرتني بهذا من قبل. وأنا لا أحب مثل هذا الشيء...»

فعبس قائلاً: «أرى أن عليّ أن استعمل معك اسلوب اليد القوية، يا سيدة ويلز. هل نصعد إلى غرفتنا؟»

سألته بدهشة صادقة هذه المرة: «ماذا تعني؟»

قال: «لكي ارغمك على البوح بسرك هذا دون خوف من تدخل مايك أو غريس.»

قالت: «إن هذا ابتزاز غير معقول يا نيكولاس.»

فقال: «أعلم هذا، ولكنك سترين أنه أحلى أنواع الابتزاز.»

فقالت ضاحكة: «إذن فسأفسد عليك خطتك هنا الآن، أيها السيد. إنه فقط حين قلت لي مرة أنه بدون اكتفاء عاطفي منتظم، أكون مزعجة ومشتتة الذهن.»

فقال: «لقد قلت ذلك عن النساء في الواقع.»

فقالت: «ولكنه كلام حكيم جداً، سواء كان معمماً أم مخصصاً. وأنا أتساءل الآن عما إذا كان هذا يصدق معي الآن فتفسد بذلك أخلاقي...»

فقال: «إذن، ربما سيصلح الأمر إذا عكسنا الحال، فنقول إنه منذ الآن فصاعداً أنا الذي سأشعر بأني مزعج ومشتت الذهن.»

فحدقت في عينيه وقد ألجم لسانها ما شعرت به من الافتتان، إلى أن قال بلطف: «أيّ مكيدة عميقة سوداء تخططين لي، يا سيدة ويلز؟»

فأجابت: «لا شيء.» ولكن وجهها توهج احمراراً عندما ضحك بهدوء قائلاً: «لو لم تكن المسألة أن العشاء سيكون جاهزاً بعد عشر دقائق...» ولكنه لم يكمل كلامه إذا سمعا صوت غريس ينادي من غرفة الطعام، فرفع حاجبه بأسف بينما شعرت جولي بالارتياح.

وبعد العشاء عاد ذكر شهر العسل مرة أخرى. إذ قال بعد ان جلسا أمام المدفأة في غرفة المكتبة، وقد عاد المطر إلى الهطول: «عندما ننتهي من بيع الأمهار، يجب أن نقوم بشهر العسل الذي سبق وتأجل. إلى أين تحبين الذهاب؟»

كانا جالسين على الأريكة الواحد بجانب الآخر، فقالت:

«آه، إنها جزيرة إينشل حيث يمكنني التجوال بحرية وحيث المطر دافىء.»

فقال: «هذا صحيح، ولكن في الواقع...»

فقاطعته: «أتريده أن يكون أقرب إلى الوطن؟ لا بأس. ليس لديّ مانع.»

فضحك قائلاً: «هل لديك رغبة جادة لرؤية الجزيرة أم انك كنت تغيظينني فقط؟»

ففكرت لحظة لترى فجأة دموعها تملأ عينيها. فنظر إليها عابساً وهو يقول: «ماذا حدث؟»

فأجابت: «لا أدري. إنه شيء مربك حقاً... إنني أتذكر حين كنت في وضع أغيظك فيه... و...» ولم تستطع الاستمرار.

فقال بهدوء: «جولي، إن هذه ردة فعل فقط... لقد كان كل ذلك صعباً تماماً ولكنه انتهى الآن.»

فضحكت وهي ترتجف. وفي هذه اللحظة أطل مايك برأسه من الباب قائلاً: «إن أمي تبحث عنكما أنتما الاثنين.»

وعندما تحركت جولي فجأة، ثبتها نيكولاس بيده، ثم قال لمايك: «أطلب من أمك أن تحضر القهوة إلى هنا يا مايك. ما بك؟»

فزاد اقتراب مايك منهما وهو ينظر إليها متفحصاً ثم سأله: «هل هي مريضة؟»

فأجاب نيكولاس برصانة: «كلا. إنها متعبة فقط.»

فقال دون وعي، يدفعه إلى ذلك سنه الحدث: «إنني لم أعرف أنكما تكنان هذا الشعور تجاه بعضكما بعضاً.»

فقال نيكولاس: «نحن هكذا حسب ما ترى. أرجو أن يعجبك هذا.»

فهز مايك كتفيه قائلاً: «أنا لا أدري الكثير عن هذه الأمور. فليس لديّ أب، ولهذا فإن أمي لا تجلس لمثل هذا.»

فقال نيكولاس: «حسناً، إن الأمور يمكن أن تتغير يوماً ما، يا مايك. الأفضل لك عند ذاك أن تتجاهلهما وتتركهما بسلام.»

ففكر مايك لحظة، ثم قال: «لا بأس. أظنني فهمت ما تعني. سأخبر أمي أن تقرع الباب بشدة حين تحضر القهوة، لا أن تدخل مندفعة.»

فقال نيكولاس بجد تام: «إنك فتى ذكي جداً يا مايك، وأضيف إلى هذا انك ستتفوق في حياتك.»

فأجاب مايك بعفوية: «شكراً. بالمناسبة، لقد غيرت رأيي. فأنا لم أعد أريد أن أصبح مزارعاً. أظن أنني سأصبح طياراً. إلى اللقاء.» وانسحب من الغرفة ثم أغلق الباب خلفه.

ولم تستطع جولي أن تتمالك نفسها أكثر من ذلك، فأخذت تضحك دون توقف، وكذلك نيكولاس. وقالت لاهثة: «آه. يا له من غلام غير عادي، أليس هو كذلك؟»

فقال: «إنه من أفضل الغلمان.»

ولم يعد الهدوء إليهما إلا بعد دقائق، رغم أن جولي بقيت تضحك كلما فكرت في الغلام. وسألها نيكولاس: «هل تشعرين بتحسن؟»

فهمهمت وهي تجلس بقربه شاعرة بالأمن والاطمئنان. إنها تريد أن تبقى كذلك طوال الليل. وعندما تملكتها هذه الفكرة، رفعت وجهها إليه قائلة: «يمكنني هذا، أليس كذلك؟»

فسألها: «يمكنك ماذا؟»

فأجابت: «هذا غير مهم. لقد كنت فقط أفكر بصوت عال.»

فأمسك بذقنها يرفع وجهها إليه قائلاً: «بل هو مهم.»

فقالت: «كنت أفكر فقط أن بإمكاني أن أبقى على وضعي هذا معك طوال الليل.» واحمر وجهها وتابعت تقول: «ربما تفكر الآن في أنني ضعيفة العقل.»

فضحك بهدوء، ثم أطلق شتيمة حين رن جرس الهاتف وكانت المتكلمة فيرا، التي أخبرته أن الفرس هانتر أصيبت بمغص حاد.

قال لها متوتراً: «إن عليّ أن أذهب يا جولي. إنني آسف.»

فقالت: «ولكن الجو مظلم وممطر، يا نيكولاس، وأنت...»

فجلس وقال: «لقد توقف المطر كما أن الجو هو صحو فوق موركنغ. إن تلك الفرس يمكن أن تأتينا بمبلغ كبير جداً عند البيع إذا استطعنا انقاذها، ولا أظنني بحاجة إلى أن أخبرك أن المغص قد يكون مميتاً بالنسبة إلى الخيول. عليّ أن أذهب رغم كرهي لذلك.»

قالت: «طبعاً، أرجو لك حظاً سعيداً معها. هل لك أن تتصل بي هاتفياً حال وصولك؟»

فقال: «نعم. أرجو لك نوماً هنيئاً، يا سيدة ويلز.»

كانت مستلقية على فراشها غير نائمة عندما قرع جرس الهاتف، ولكنها كانت فيرا التي أخبرتها أن نيكولاس وصل بسلام. وأنه يبدو أنهم سيمضون ليلة صعبة، وأن لا تتوقع رجوعه قبل الغد.

وضعت جولي الهاتف وهي ترمقه بنظرة حزينة ومضت تحدث نفسها: لا أدري لماذا لا أطيق تلك المرأة. إن بإمكانها بعدة جمل قصيرة تقولها، أن تجعلني أشعر بنفسي عديمة النفع بينما تبدو هي بالغة القوة والكفاءة.

وأطفأت المصباح، ودخلت تتكوم تحت الأغطية. ثم خطر ببالها ماذا بإمكان فيرا وبقية العالم أن يفعلوا إزاء التطورات الأخيرة بينها وبين نيكولاس، على افتراض شعورهم بما كان عليه الوضع من قبل.

ولكنها ما لبثت أن أدركت أن استغراقها في مشاعرها لم يكن سوى شعور جديد بالضعف. وسألت نفسها: هل ذلك لأنني وحدي؟ لم أشعر بذلك هذا الصباح، فقد كنت أشعر بالسعادة. وعبست فجأة ثم حاولت أن تعود بأفكارها إلى ما حدث، وكيف حدث.. ولكن كل شيء بدا لعينيها حلماً غير قابل للتحليل...

كان كل ما بإمكانها أن تفكر فيه الآن هو كم تحب نيكولاس ويلز، وكيف فتح لها حبها ذاك عالماً بأكمله من الضعف.

وسرعان ما استحوذ عليها النوم، ونيكولاس في خيالها.

الفصل السادس

استيقظت جولي على رنين الهاتف ليكلمها نيكولاس هذه المرة حيث اخبرها أن الفرس تتجاوب مع العلاج ولكنها لم تخرج بعد من دائرة الخطر، وأن عليه أن يبقى معها إلى أن يزول الخطر هذا.

فقالت جولي: «طبعاً. إنني متفهمة تماماً.»

سألها: «ماذا ستفعلين؟»

أجابت: «تماماً مثل كل عروس جديدة فقدت زوجها في اليوم الثاني من... حسناً، من شهر العسل.» وقهقهت ضاحكة ثم تابعت: «انني لست متأكدة يا نيكولاس.»

«جولي.»

أجابت: «كلا... انني فقط اغيظك. إنني بخير حقاً.» وأخذا يثرثران عدة دقائق. وعندما وضعت السماعة اكتشفت انها تشعر بتحسن كبير. وبعد أن ساعدت غريس في عملها الصباحي، اسرجت حصانها، ثم ذهبت في نزهة على ظهره.

وغمرتها البهجة وهي تخرج في هذا الصباح الصاحي، مستمتعة بأشعة الشمس الدافئة، بعد الأيام الممطرة الباردة التي مرت عليهم، ووجدت نفسها تغني وهي تسير وحدها.

وكان أن سارت، دون سابق تفكير، إلى مرعى الجياد، الاثني عشر ميلاً، والذي هو مستنقع في الواقع، في بعض

اجزائه، اكثر منه مرعى. وهو يفيض في العادة إذا زاد المطر عن حده. ووقفت تنظر إلى السماء ثم اخذت نفساً عميقاً، لتترك نفسها بعد ذلك، للحصان يعدو بها مقلدة بذلك الفرسان، لترى بعد ذلك، أنها مادامت قطعت كل هذه المسافة فلا بأس من أن تتفقد الاصلاحات التي أجريت في كوخ الفرسان القديم القائم على الحدود. حتى أوسع المخيلات لا تستطيع أن تصف هذا الكوخ بأنه مريح مكتمل، ذلك انهم لم يصلحوا سوى الباب والسقف. وكان هناك كومة من الحطب موضوعة في المدفأة، هذا إلى شيء من المؤن الأساسية. وكانت هناك فرشتين جديدتين على سريرين وبعض البطانيات الثقيلة من نوع بطانيات الخيول. وعبست وهي تتحسسها، ثم إذا بها ترفع رأسها فجأة بعد اذ احست انها وهي تجول هنا وهناك، لم تلحظ تغير الجو الغريب، فركضت تفتح الباب لتفاجأ بالبرق ينير السماء ثم يتبعه رعد جلجل الأجواء ما جعلها تقفز عن الأرض. والأسوأ من ذلك الرعب الذي شعر به حصانها ما جعله ينتصب على قائمتيه الخلفيتين، قاطعاً بذلك لجامه، وعندما رأى نفسه حراً قفز متوجهاً نحو البيت ثم اندفع يطوي الأرض طياً.

فهتفت: «أوه، كلا!.» ولكن هذه الكلمات ما لبثت أن تمزقت وهي ترى الشمس تتوارى خلف سحب كثيفة، ويبدأ المطر بالهطول بقطرات ضخمة كالرصاص بينما الرعد يقصف في الجو، والبرق يشق السماء.

وشهقت. ان الفيضان سيغمر المرعى وبالتالي ستسجن هي في هذا المكان. كان عليها أن تدرك أن الدفء غير

العادي في الجو، قد يكون منبئاً بعاصفة، بينما هي لم تخبر احداً بمقصدها.

وحدثت نفسها وهي تغلق الباب تصد بذلك هدير العاصفة في الخارج، بأنها في امان تام، وأن المشكلة فقط هو أنه لا احد يعلم بذلك. وأن الأمور حدثت بسرعة فائقة وأن كل انسان معرض للسهو إذا كان لديه ما يشغل باله، فهل تلام لهذا؟ كلا في الحقيقة. وكانت بهذا تطمئن نفسها، تهدىء بذلك وخز ضميرها.

وعندما توقف المطر أخيراً، كانت الساعة قد جاوزت التاسعة، ولكن الرعد كان مايزال يجلجل. وعندما التمع البرق، انكشف امامها المنظر المفزع للماء الذي كان يغمر كل ما تحت الهضبة التي كان الكوخ مبنياً عليها، ماء لم يسبق ان رأت مثله قط، فهو يكاد يبلغ وسط الانسان في بعض المناطق. وارتجفت وهي تتذكر ما كان جدها قد اخبرها به يوماً عن فيضان حدث ذات مرة فارتطم بباب الكوخ. لهذا اغلقت الباب وهي تركز افكارها على انها حالياً في أمان. وكان الكوخ في الداخل بهيجاً تماماً في الواقع. فقد اشعلت النيران في المدفأة، كما تناولت عشاءً مكوناً من بازيلا محفوظة وبسكويت. وكان ثمة إبريق قهوة يغلي جانباً، كما سحبت الفرشتين ووضعتهما على الأرض امام النار، بعد ان اشتدت برودة الجو، كما اشتد هبوب الرياح مما قد يطيح بالعاصفة بعيداً. كانت هذه بشارة في الواقع، رغم أن خطر الفيضان كان يعتمد على مقدار المياه التي كانت تنهال سيولاً في المرعى.

وربما كان بسبب هبوب الريح، وقرقعة الخشب في

المدفأة أن لم تسمع شيئاً حين جلست على الحشية تحت واحد من تلك البطانيات ومضت ترشف القهوة، لتدرك فجأة انها لم تعد وحدها وذلك حين انفتح باب الكوخ بسرعة كاد معها الريح الذي اندفع بذلك، يعلي كل ما حولها، وقد وقف عند العتبة شخص طويل القامة تقطر منه المياه. فاجفلت حتى انسكبت القهوة فصرخت فزعاً وهي تضع الفنجان من يدها، هاتفة: «نيكولاس. لقد افزعتني للغاية. لماذا لم تقرع الباب؟»

وبحركة سريعة امسك زوجها، والذي كان ممزق الثياب ملطخاً بالوحل، امسك بيدها يجرها موقفاً إياها على قدميها وهو يزمجر قائلاً: «ما الذي تفعلينه هنا، يا جولي؟ أليس لديك عقل مطلقاً؟ إلى متى تظلين تلميذة طائشة متهورة عديمة التفكير؟»

وما كان لغضبها أن ينفجر لو لم يتفوه بهذه الكلمات الأخيرة. فهي تدرك جيداً انها لم تعد الآن تلميذة طائشة متهورة عديمة التفكير، وإنما امرأة بكل معنى الكلمة ذات قلب مليء بالألم بالنسبة للواقع الحاضر وما هو على وشك الوقوع. وهكذا انتزعت يدها من يده وهي تنفجر فيه قائلة بحدة: «انني اكرهك يا نيكولاس ويلز، فلولاك ما كنت أنا هنا.» ثم سددت إلى وجهه صفعة مدوية.

فالتمعت عيناه الرماديتان تحت شعره القاتم الذي يقطر ماءً، والتوى فمه بشكل وحشي مخيف، ثم أخذ يهزها بعنف وهو يحدّق في عينيها المحملقتين فيه خوفاً وقد شحب وجهها.

وما لبثت أن سقطت على ركبتيها وهي ترتجف. حدق

فيها لحظة وقد تشابكت نظراتهما، ثم قال عابساً: «ألا تدركين أن كل رجل في المزرعة الآن خارج بيته يفتش عنك، حتى أننا استدعينا طائرة مروحية للخدمات الطارئة؟»

فشهقت قائلة: «إنني... لكن لم يكن ثمة سبيل للاتصال بكم لاعلمكم بأنني بخير. لقد هرب حصاني كما ترى...» واخذت اسنانها تصطك وهي تتابع قائلة: «لقد ابتدأت السماء ترعد ثم انهمر المطر ثم... لم يعد لديّ حيلة في الأمر.» واستحال كلامها همساً عاجزاً ثم وضعت رأسها بين يديها.

فقال: «كلا. ليس الأمر هكذا. فالمسألة هي مجرد انعدام في التفكير، يا جولي، وإياك بعد الآن ان تطوفي في الأنحاء دون أن تخبري احداً بمكان ذهابك. هل فهمت؟»

فقالت: «نعم، وأنا آسفة...»

ولكنه قاطعها قائلاً: «وبالنسبة إلى شخص مثلك يدَّعي العلم بكل شيء، فالقدوم إلى هنا وأنت تعلمين تاريخ هذا المرعى اللعين هو جنون محض. انظري إليّ يا جولي.»

ففعلت وهي توشك على البكاء وهي تراه على حق. لو أنها فقط لم تدع السعادة تسيطر على كيانها. ولكنها رفضت ان تريح نفسها بالبكاء، بل قالت بصوت متوتر: «انك على حق، لقد كنت غبية للغاية ولن افعل ذلك مرة أخرى. كيف امكنك الوصول إلى هنا؟»

فاخبرها، وقد توترت ملامحه: «لقد وصلت بالسيارة إلى حيث لم اعد استطيع المتابعة، فتابعت السير مشياً، واخيراً وصلت سابحاً.» ولمعت عيناه سخرية حين اجفلت، وتابع وهو يخرج من تحت قميصه جهاز لاسلكي: «ارجو فقط ان يكون في هذا درساً لك.»

وشعرت بالارتياح وهو يتحدث إلى الرجال الذين يفتشون عنها، فيشكرهم جميعاً، وكان القرار انهما سيكونان في أمان بقية الليل، وستكون محاولة انقاذهما في الصباح.

وكان الصوت في الطرف الآخر من الخط يقول مازحاً: «سنحضر زورقاً هذه المرة.» ولكن هذا المزاح لم يلطف من مزاج نيكولاس الغاضب.

وبعد برهة قالت وهي تناوله كوباً يحتوي على حساء معلب: «هاك.» وكان على الموقد إناء يحتوي على لحم علب يغلي بهدوء. ثم بسطت ثيابه على المقعد. وكانت قد سبق ووجدت منشفة اخذ هو يفرك بها جسده بقوة، ثم لف نفسه ببطانية وأخذ يشرب الحساء بصمت، ثم ابتدأ يأكل اللحم، وكان كل ما قاله هو: «ألن تأكلي شيئاً؟»

فأجابت: «إنني لست جائعة، فقد سبق وتناولت بعض الطعام.»

وأنهى القهوة التي قدمتها إليه، ثم استلقى واضعاً يديه تحت رأسه، وترددت هي ثم ما لبثت أن جلست متربعة على الفرشة الأخرى، ومضت ترشف قهوتها.

وأجفلت حين قال فجأة: «هل لك أن تفسري ما سبق وقلته من انك لولاي لما كنت هنا؟»

فأجابت بعناية: «ان ما عنيته هو أن ذهني كان مشغولاً، وهكذا لم انتبه تماماً إلى...»

قاطعها بجفاء: «لم تنتبهي إلى الطريق، ان هذا ليس عذراً.»

فقالت: «حسناً...»

قال بجد: «جولي.»

قالت عابسة: «ربما الحق معك.»

فسألها: «ربما؟»

قالت بهدوء: «ولكنني اعترفت بأنني كنت غبية، إنني غبية...»

فقال متهكماً: «انك اكثر من ذلك لو أن تلك الأفكار التي كانت تدور في ذهنك لها علاقة بنا.»

فسحبت نفساً عميقاً ثم قالت: «انني لا اوافقك تماماً على هذا، يا نيكولاس. ظلمتني ولاتزال.»

تنهد قائلاً: «وما هو الظلم الذي ألحقته بك، يا جولي؟

فقالت: «حسناً، انني لست مجرد فتاة صغيرة، فأنا زوجتك. اما ما عنيته من أنني ما كنت هنا لولاك، فهو ان الحب كان يدير رأسي فلم انتبه إلى طريقي، أما الآن فأنا اتساءل متى ستبدأ بمعاملتي كزوجة، يا نيكولاس. زوجة قد تخطىء احياناً ولكنها لا تستحق أن تعامل كطفلة.»

نظرت في عينيه وهي تغالب الدموع التي مازالت مصممة على أن لا تذرفها، فلاحت على شفتيه ابتسامة باهتة وهو يقول: «لا بأس، اني اعتذر. ولكن عندما كنت اتساءل عما إذا كنت سأرى جثة زوجتي تطفو أمامي، عند ذلك أصبح... أصبح بالشكل الذي رأيتني عليه. والآن، هل سامحتني؟»

قالت وقد أخذ قلبها يخفق بعنف: «حسناً، بشرط ان تسمح لي بأن اقول انني في أشد الندم لأنني صفعتك.»

فقال جاداً: «شكراً.»

استيقظت ببطء لترى الكوخ غارقاً في ضوء الفجر الباهت. وصدرت عنها آهة رضى، ثم عادت تغمض عينيها، ثم تفتحهما لتحدق في عيني نيكولاس.

قال بلطف وهو يمد يده يزيح شعرها عن وجنتيها: «لا بأس عليك.»

فقالت وهي تتنهد: «ما أجمل ذلك، حتى في هذا المكان.»

فأجاب: «انني مسرور لقولك هذا، إذ اشعر وكأنك سامحتني.»

فقالت: «طبعاً، اظنني اوضحت ذلك تماماً ليلة أمس.»

ساد صمت لثواني قليلة عادت بعدها تقول: «نيكولاس. انت جذاب جداً.»

قال لها: «تابعي.»

فقالت: «أولاً، انك طويل القامة، اسمر ووسيم، لقد قلت لك ذلك الليلة الماضية. وثانياً، انك احياناً بالغ الرقة. وأيضاً عليّ ان اقول ان وجودك بقربي يمنحني شعوراً بالغاً بالطمأنينة. نعم، حتى وأنت مستاء مني. انك أيضاً...»

فقاطعها قائلاً: «انني اسمع اصوات رجال الانقاذ تقترب منا. هل تسمعين صوت محرك؟» فاستمعت قليلاً ثم قالت: «نعم.»

قال: «جولي.»

أجابت: «نعم يا نيكولاس.»

فقال بعد لحظة: «هل لك أن لا تغيري طباعك هذه.» ولكن ساورها خاطر غريب بأنه كان يريد أن يقول شيئاً غير هذا. ثم اضاف يقول بجفاء: «لقد اصبحوا هنا.»

لم يكن الخبر الذي احضروه معهم، جيداً. ليس فقط ان

المرعى قد فاضت به المياه، ولكن الأراضي كلها كانت في خطر من طوفان شامل.

«أرجوك يا نيكولاس، دعني اساعد.»

«جولي.»

«يمكنك أن تجعل عليّ مراقبة. يمكنك أن توجه اليّ نفس الأوامر التي توجهها إلى رجالك، واعدك بأن اطيعها بحذافيرها.»

فرفع حاجبه قائلاً: «انها ستكون اختباراً جديداً لك... على كل حال يا جولي...»

فوضعت يدها على كمه وهي تحاول أن تخفي ما في عينيها من ألم قائلة: «نيكولاس. لا تسقطوني من حسابكم، إنني اعشق ستورم، وان اجلس جانباً لا أراقب ما يحدث، مدركة أن المخزونات كلها قد غرقت، فهذا شيء هو فوق احتمالي... لقد قلت بنفسك انك بحاجة إلى كل عون... بإمكاني ركوب الجياد كأي واحد منكم.»

فقال: «جولي.» وسكت برهة ثم نظر في عينيها، قائلاً: «إنني اعلم ذلك. ولكن هنالك اشياء لا تستطيعين النظر إليها، وأشياء ليس في وسعك القيام بها.»

فقالت: «ربما، ولكن لا بد أن يكون هنالك شيء بإمكاني القيام به.»

فتردد، ثم قال: «لا بأس... ولكن عليّ أن أقول هذا... إذا حدث وتعرضت لحادث ما، أو إذا كان علينا أن نخصص لك رجلاً للعناية بك، فهذا ليس بمقدورنا.»

فقالت بهدوء: «لن تكون بحاجة لذلك.»

وكانت عند كلمتها. وطوال الأسبوع التالي إلى أن ابتدأ

الطوفان بالنزوح، امضت كل ساعات النهار تسوق قطعان الماشية المبللة الملطخة بالأوحال من المراعي المغمورة بالمياه، إلى مراعي أخرى.

وكانت ترتمي على سريرها كل ليلة وقد غمرها الإرهاق، ومع هذا فقد لاحظت أنها لم يسمح لها بالعمل وحدها قط وكما سبق واخبرها نيكولاس، فقد كانت هنالك مناظر ما كان لها أن تراها. ولكنها لم تشعر بالفزع لذلك ولا اشاحت بوجهها عنها.

لم يكن قلق نيكولاس لأجل ستورم فقط وإنما موركنغ أيضاً، فكان يقسم وقته بين المزرعتين، رغم أن موركنغ لم تكن قد اصيبت بنفس الأضرار التي اصيبت بها ستورم وذلك حسب طبيعة أرضها. وقد أوقف جولي مرة وكان قد شرعت في الخروج إلى العمل وذلك عند مطلع الفجر، ثم اخذ يتفحص وجهها باهتمام، ثم سألها: «كيف حالك؟»

فأجابت: «بأحسن حال.»

فقال: «لا تفرطي في العمل، يا جولي.»

فأجابت: «إنني لا افعل ذلك. لا بد انك شديد القلق لأجل الجياد والأمهار.»

فأجاب: «لقد اخرجت كل الأمهار، وحتى الآن لم نفقد جواداً أو مهراً. اسمعي، هل انت واثقة من أن بإمكانك...»

فقاطعته بحزم: «واثقة تماماً.»

فابتسم لها فجأة قائلاً: «لقد اخبروني ان كفاءتك في العمل لا تقل عن كفاءة أي واحد منهم.»

وكان في هذا الإطراء ما شجعها على الإستمرار. وجاء اخيراً اليوم الذي انتهت فيه هذه المحنة... ودخلت عصراً،

إلى المطبخ عالمة أن ليس عليها الذهاب في اليوم التالي، مرة أخرى.

وخاطبتها غريس بقلق وهي تجلس إلى المائدة: «آه، لقد تعبت كثيراً يا سيدة جولي. انظري إلى نفسك فقد اصبحت شبه فتاة...»

فقالت جولي محتجة: «كلا، لم اصبح كذلك.» وعادت فوقعت ولكن ركبتيها انثنتا بشكل غير متوقع، ولو لم يدخل نيكولاس هذه اللحظة، لكانت سقطت على الأرض.

هتف عابساً وهو يمسك بها: «جولي، لقد حذرتك...»

فهمست: «ولكنني ساعدتكم، أليس كذلك؟» ثم اغمضت عينها.

ورقت ملامحه قليلاً وقال: «لقد كنت مذهلة حقاً. ولكنك يوماً ما، ستتعلمين الامتثال لما يطلب منك.»

فقالت: «انك انت المذهل، فلو لم تكن هنا لتتدبر الأمور كلها...» وارتجفت. فقال نيكولاس مخاطباً غريس: «غريس، ايمكنك احضار عشائنا إلى غرفة النوم بعد ساعة؟» ثم خرج من المطبخ حاملاً جولي. وقالت وهو يوقفها على قدميها: «إنني بخير في الحقيقة.»

فقال: «هذا ما أراه.»

قالت: «انها لم تكن كارثة عامة، أليس كذلك. إنني اعلم اننا خسرنا اشياء ولكننا انقذنا الكثير أيضاً...»

فقال: «إنني لن الومك يا جولي لتجوالك ذاك في الأنحاء في الوقت الذي كنا فيه مشغولين باتمام زواجنا على أحسن وجه، كلا فقد سبق وفعلت ذلك. وكل ما أريد أن اقوم به الآن هو الاطمئنان عليك، ذلك ان سبعة أيام في عمل كهذا الذي قمت به، لا يقوى عليه اكثر الناس.»

فقالت: «معك حق. اتظن أنه بقي لنا نصيب في الذهاب إلى جزيرة إينشيل لشهر العسل؟»

فضحك وقال: «ان مزاد بيع الأمهار قد اقترب لسوء الحظ.»

وبعد ذلك بساعة، كانت في الفراش، وقد احضرت لهما غريس العشاء، وشكرها نيكولاس، فقالت: «حسناً، إذا احتجتما إليّ نادني.» وعندما خرجت نظر إلى جولي قائلاً: «ان لدي فكرة. ما قولك في أن تبقى غريس عندنا بصورة دائمة.»

فأجابت: «انها فكرة رائعة، ولكن اتظنها توافق؟»

فضحك وقال: «ليس انها فقط تحب الأرض التي تسيرين عليها، بل ان ابنها الذي تعشق قد تقومت شخصيته الآن. إنني واثق من انها ستوافق، فهي ستكون قريبة من جدتها كذلك، كما أن مايك يمكن أن يتسجل في مدرسة الطيران مع بقية اولاد عمالنا هنا. فأنا اشعر ان من الصعب ابعاد مايك من هنا، على كل حال.»

فقالت: «اظنه يحب الأرض التي تسير عليها.»

فهز كتفيه قائلاً: «كلي، يا جولي، اننا لا نريد لك ان تذبلي.»

فالتقطت السكين والشوكة وهي تقول: «لا أظن أن هذا ممكناً.»

فقال: «لا بد انك فقدت من وزنك عدة ارطال.»

فأخذت تأكل اللحم بصمت. فسألها بعد لحظات: «ماذا جرى؟»

فقالت وهي تضع من يدها الشوكة والسكين: «لا أدري بل

أدري. ولكن من الصعب التعبير عما اشعر بالكلمات.» فقال بعينين باسمتين: «اظن من الأفضل أن تحاولي.»

فقالت: «انني اشعر ببرد شديد.»

وبعد ذلك بعشر دقائق كان قد غطاها جيداً، سألها: «هل تشعرين بتحسن؟»

فهمست وهي تتنهد بارتياح: «آه، نعم. إني آسفة.»

فقال: «لا تأسفي، فقد تعبت كثيراً. هل تأتين معي إلى سيدني حين يبدأ المزاد؟»

فقالت: «احب ذلك كثيراً. اتراني سأشغلك عن عملك؟»

فأجاب: «كلا بالطبع، بل ان وجودك سيكون مفيداً جداً، فستكون هناك مناسبات اجتماعية. كما يمكنك ان تشتري لنفسك جهاز العروس، وتقابلي اصدقاءك القدامى.»

قال نيكولاس: «ان لدي الآن بعض المشاغل، لماذا لا تذهبين إلى التسوق، يا جولي؟»

فأجابت بعد أن انتهت من الطواف في أنحاء منزل نيكولاس القائم في ضاحية عصرية من سيدني، اجابت قائلة: «سأفعل. لشد ما احببت هذا المكان.» كان أثاث المنزل يغلب عليه اللونان الرملي والوردي، وكانت كراسي المائدة مريحة منجدة بقماش عاجي اللون، كما كانت مائدة الطعام مكونة من الزجاج والحديد المصهور الأخضر اللون.

فقال بجد: «انني مسرور لذلك. ويمكنك تغيير ما تريدين فيه حسب ذوقك.»

فقالت: «كلا، انني لن اغير شيئاً.»

فلوى شفتيه ولكنه قال: «بالمناسبة، لقد تلقينا دعوة إلى

حفلة كوكتيل هذا المساء. وهي من المناسبات التي تسبق المزاد. هل لك في ان تصحبيني إليها يا سيدة ويلز؟»

أجابت: «سيسعدني ذلك، يا سيد ويلز.»

فابتسم وقال: «انك شديدة الجلد، يا جولي.»

أجابت ببراءة: «ولماذا لا اكون كذلك؟»

قال: «انك خارجة لتوك من محنة صعبة يا عزيزتي.»

أجابت: «انني استعيد قواي بسرعة وليس لك ان تقلق بشأني.»

فقال: «احياناً يكون تأثير مثل هذه الأمور اكثر عمقاً مما يدركه الشخص. ولا استطيع تجنب التفكير في ان هذا النوع من البهجة التي تلازمك، تنتهي عادة، بالدموع قبل النوم.»

فازدردت ريقها فجأة وهي ترجو ان لا يكون سبق ورأى دموعها. فقد كان على صواب من بعض النواحي. فما كان ابتهاجها ومرحها هذا إلا ستاراً لتوتر قد حل بها فجأة بسبب السفر من ستورم. فقد بدأ يتضح لها أن هذه الأيام القليلة القادمة ستكون عرضاً لزواجها من نيكولاس ويلز، ولكنها كرهت ان تدعه يتكهن بذلك. وهكذا قالت ضاحكة: «لقد تغلبت على امثال تلك المشاعر عندما كنت في العاشرة، يا نيكولاس. وأنا الآن طبيعية تماماً.»

فقال: «هذا حسن.» ونظر إليها متفحصاً مرة أخرى، ثم قال: «سأعود في الخامسة، وعلينا أن نكون في الحفلة الساعة السادسة. بالمناسبة، هذه لك.» وأخرج يده من جيبه ومدها إليها، وكان فيها حلقة مفاتيح، وبطاقة مصرفية ورزمة اوراق مالية.

فحملقت فيه وهي تقول: «ولكن... نيكولاس... ليس

عليك ان...» فأمسك بيدها ووضع تلك الأشياء فيها وهو يقول: «ان ذلك عليّ طبعاً، فليس بإمكانك التسوق دون نقود. انك بحاجة إلى سيارة وإلى مفاتيح المنزل، فاذهبي واستمتعي بوقتك.» وقبلها على جبينها ثم خرج.

عادت إلى المنزل في الساعة الثالثة، حيث ادخلت سيارتها الرياضية الصغيرة إلى الكاراج، ثم ادخلت لفائف المشتريات إلى المنزل. واحدة منها فقط كانت تحتوي على ملابس، اما البقية فكانت تحتوي على اطعمة مختلفة، حيث ادركت من جولة سريعة في غرفة حفظ الأطعمة قبل خروجها، انها كانت خالية. كما اشترت إبريق قهوة وهو الوحيد الذي كان المطبخ خالياً منه. ولم يمض وقت طويل حتى كان شذا القهوة يملأ المنزل. فحملت فنجانها بيدها وهي تكمل الطواف في المنزل متفحصة. كان يوجد ثلاث غرف نوم في الطابق الأعلى، وكانت الغرفة الرئيسية مدهونة باللونين الأصفر والأبيض وتشرف على فناء المنزل. وفتحت خزانة الأغطية فوجدتها مليئة بالمناشف السميكة وما يناسبها من ملاءات واكياس الوسائد. وكان البعض منها مازال ملتفاً كما أُحضر من المتجر. وكان الانطباع الذي اعتراها، وهو ان هذا المنزل لم يستعمل كثيراً، قد ازداد وهي تفتح خزانة الآنية الصينية لترى الأبواب وادوات المائدة مازالت في العلب، وعبست وهي تتساءل عمن تراه اشترى هذا كله. وخمنت أن شركة مختصة بتزويد المنازل بكل هذه الأشياء لا بد قامت بهذا العمل، أو ربما... ولكنها توقفت عن التفكير حين اغلقت باب

الخزانة وهي تفكر في أن كل هذا حسن بصرف النظر عمن قام به.

كانت مرتدية ثيابها وجاهزة تقريباً، عندما سمعت صوت الباب الأمامي يفتح ويغلق. فأطلت من فوق الدرابزين وهي تهتف بأنها قادمة حالاً.

فأجاب: «لا ضرورة للسرعة إذ علي أن اغير ثيابي. هل أشم رائحة قهوة؟»

فأجابت: «نعم، انها على الموقد.» وهبطت السلم وكان هو في أوله، فحيته قائلة: «مرحباً. كيف امضيت النهار؟»

فقال: «جولي...»

قالت: «هل فقدت النطق؟ أرجو أن لا يكون ذلك نتيجة عدم الاستحسان.»

فأجاب: «انزلي لأتمكن من تقييم مظهرك جيداً.»

فترددت قليلاً دون أن تدري لماذا، ثم تابعت الهبوط لتقف في منتصف الغرفة، فقال: «استديري.» فأطاعت.

كانت ترتدي طقماً مسائياً أزرق من الحرير، وكانت الجاكتة قصيرة ضيقة عند الخصر، كما كان الكمان طويلان، وكانت التنورة طويلة بعض الشيء، كما كان حذاؤها عالياً أزرق اللون هو أيضاً. وكان شعرها مكوماً فوق رأسها وقد نزلت منه خصلات جعدة حول وجهها. وأخيراً سألته بفروغ صبر: «ما رأيك؟» فقال بجد، ثم ابتسم وهو يرى نظراتها القلقة: «رأيي هو ان علي ان اشدد رقابتي عليك خشية من أن يكون هناك بعض الحمقى، سريعي التأثر من الذين اعتادوا على التصريح بغرامهم بواسطة الرايات الطائرة فوق الميناء.»

فضحكت قائلة: «ظننت ملابسي لم تعجبك.»

فسألها: «ولماذا لا تعجبني؟»

أجابت: «ظننت انها ربما كانت غير مناسبة بالنسبة إلى امرأة متزوجة.»

فقال: «ولكنك قد احببت ارتداءها على كل حال.»

فسألته بجدية: «ألا تظن أنها كذلك؟»

أجاب: «كلا، أبداً، انني لم اقل ذلك. كما أنه مسموح للزوجات بأن يبدين مذهولات، وفي الواقع أن الأزواج يهمهم ذلك في الواقع.»

فقالت ببطء: «لماذا إذن، انتابني احساس بأنك لم تستحسن ذلك تماماً؟»

فواجهها قائلاً: «لا أدري. ما السبب في ذلك؟»

فقالت عابسة: «حسناً، لقد وجمت بشكل ما حين رأيتني لأول مرة.»

فقال: «هذا صحيح، وتفسيره سهل، فقد ادار رأسي منظرك، إذ تبدين غاية في الجاذبية.»

فحملقت فيه شبه مبتسمة وهي تقول: «شكراً. كنت حقاً بحاجة إلى كلامك هذا.»

فقال لاوياً شفتيه: «ان هذا صحيح يا جولي. والآن، الأفضل أن ابدأ بتغيير ملابسي. بالمناسبة، أراك تسوقت بعض الأطعمة. شكراً فانا دوماً انسى هذا.»

فقالت: «ليس عليك أن تشكرني، فهذه مهمة الزوجات خصوصاً النشيطات منهن. أليس كذلك؟»

فلمعت عيناه مكراً وهو يقول: «انها مهمة من مهمات. سأعود بعد عشر دقائق.»

سحبت جولي نفساً عميقاً، فالتفت اليها نيكولاس متسائلاً: «هل حدث شيء؟»

كانا على وشك الدخول إلى الحفلة، ولكنها توقفت وهي تشعر بنوع من عدم الارتياح.

قال: «جولي؟»

قالت: «إنني... إنني بخير يا نيكولاس.» ونظرت إليه، ولكن حالتها ازدادت سوءاً. كان يرتدي بذلة رمادية وقميصاً ذا لون أزرق فاتح وربطة عنق كحلية فبدا مظهره مزيجاً من المادية والغموض، طويلاً عريض الكتفين وذا جاذبية لا تصدق.

سألها مقطباً جبينه: «هل تشعرين بغثيان أوما أشبه؟»

فأجابت بحيرة: «كلا. حسناً، ليس تماماً. ولكن خطر لي أنه قد يكون هنا أربعة اشخاص يعلمون عن تقييدي الأطفال إلى السياج، وكذلك سمعوني أقول لك إنني أكرهك، وأنه ربما كل سيدني تعرف ذلك الآن. وكذلك الكثير مما اكره الاعتراف به. ان معدتي تصدر اصواتاً غريبة الآن وانا اتذكر هذا، وأنا لست واثقة تماماً من أن بإمكاني... الدخول.»

«جولي...»

«نيكولاس...»

لمح نادلاً يحمل صينية رصت فوقها اكواب من العصير المتنوع، فناداه واخذ كوب من الليموناده ناولها إياه قائلاً: «هاك، خذي جرعة من هذا.» فقالت: «قد يجعلني هذا اشعر بالغثيان...»

قال: «كلا، بل هو سيهدىء اعصابك.»

حملقت فيه بعينين متسعتين وشفتاها ترتجفان، ولكنه ضغط اصابعها على الكوب بلطف، فرفعته إلى شفتيها فرشفت منه رشفة، ثم عدة رشفات اخرى، وعندها شعرت بارتياح. وقالت له: «انك على حق.»

أجابها بازدراء: «إنني غالباً على حق.»

فقالت وهي تتقدم امامه: «على كل حال... انه...»

قال: «لقد سبق واخبرتك يا جولي انني لا اهتم مطلقاً لكلام الناس ويجب ان تكوني مثلي. ان هذا كان شيئاً خاصاً بنا وقد انتهى الآن. ولكن، في الحقيقة انت تعلمين ماذا سيظن اغلب الناس من انني اذا لم استطع ان اسعدك، فلا بد انني مجنون، وبكلمة أخرى انني انا الذين سيتساءلون عنه وليس أنت.»

فهمست قائلة: «اذا هم فعلوا ذلك، فلا بد ان يتساءلوا ايضاً عما إذا كنت ماتزال تحب جنيفر سوارد. ألا ترى ذلك؟»

فقال بحزم ونظرات كالفولاذ: «كلا، فهذا امر قد انقضى وانتهينا منه. وامامنا الآن احد امرين، الأول هو أن بامكاننا ان نعود إلى البيت إذا كنت ماتزالين تشعرين بعدم الشجاعة للدخول، وهذا لن يهمني أبداً. والثاني هو أن ندخل، ونمنحهم شيئاً آخر يتحدثون عنه.» وابتسم فجأة.

فسألته متلعثمة: «ما... ماذا؟»

فقال: «حسناً، لو انك بقيت ملازمة لي على الدوام، ربما تحدثوا بأن نيكولاس ويلز قد صلح في النهاية.» وحدق في عينيها المتأملتين، ثم عبس قليلاً وأضاف قائلاً: «لما لا نجرب ذلك؟»

الفصل السابع

لأول مرة في حياتها، كان لجولي مرافق حريص على راحتها والذي كان في نفس الوقت زوجها. لقد استطاع ان يجعلها تشعر بأنها امرأة مميزة دون ان تدرك وسيلته لذلك، وبدا أنه كان مهتماً بها مثل، ان لم يكن اكثر، كل شخص آخر قابلته. كما أنه لم يدع لها فرصة تبتعد فيها عن جانبه حتى ولو شاءت ذلك. وهكذا وجدت انهما كادا يكونان محط الأنظار في الحفلة.

شعرت بشيء من الدوار حين رفعت نظراتها إليه لترى عينيه منصبتين عليها وعلى شفتيه شبه ابتسامة، وفي عينيه نظرة كانت خاصة بها، نظرة جعلتها تشعر بالبهجة وانها ذات اهمية خاصة بالنسبة إليه. وكذلك لترى الحسد في اعين النسوة الأخريات وهن يرينه، خصوصاً فيرا، التي كانت تقدمت تستقبلهما حال دخولهما، ثم لازمتهما منذ ذلك الحين.

وفكرت جولي سراً عندما تحركت فيرا، التي كانت ترتدي ثوباً أخضر ملائماً للون شعرها، فكرت في أن هذه لن تستطيع معاملتها بعد الآن باستعلاء كالعادة.

وكانت قد ابتدأت تشعر بالسعادة بعد أن تمالكت اعصابها، فأخذت تضحك لشيء قاله لها البعض... عندما وقعت نظراتها على عيني جنيفر سوارد الجميلتين في آخر القاعة. وفي اللحظة التالية كان كل شيء قد انهار. ولم يكن

لقاء اعينهما مصادفة، فقد كانت تعلم ذلك في اعماقها. لقد استقرت عينا جنيفر عليها فترة، ولم يبد انها قادرة على تحويلهما عنها، حتى حولت جولي نظراتها. وما أن فعلت ذلك، حتى خطر ببالها ما سبق لنيكولاس ان قاله من ان (يمنح الناس شيئاً آخر يتحدثون عنه)... هل من الممكن أنه كان يعني بهذا القول شخصاً بعينه؟

«جولي؟»

فقالت: «آه، آسفة يا نيكولاس.» وبعد ذلك بعدة دقائق عادت تقول: «أترى فاتني شيء؟»

فنظر إليها مفكراً، وقال: «اظن هذا يكفي. هل نعود إلى البيت؟»

ولم تستطع إلا أن تومىء برأسها شاكرة.

قال لها: «لماذا لا تغيرين ثيابك بما هو اكثر راحة لك ريثما اعد شيئاً خفيفاً نأكله؟»

فقالت: «انني لست جائعة يا نيكولاس، ولكنني اشكرك على كل حال.»

قال: «جولي، يجب ان تأكلي.»

فلمعت عيناها تمرداً وقالت: «ولماذا يجب عليّ ذلك؟»

أجاب: «لأنك إذا لم تأكلي ستمرضين. إنني لن اصنع سوى قهوة وبضع سندويتشات.»

فقالت: «لا بأس.»

تعلقت عيناه بعينيها برهة ابتسم بعدها بذهن غائب ثم اشاح بوجهه.

ارتدت قميص نوم رملياً فوقه روب ابيض، ثم ابتسمت

وهي تسدل شعرها على كتفيها، لتربطه بعد ذلك إلى الخلف بشكل ذيل الحصان. كانت تشعر بالتعب وفقدان الحيوية وذلك لسبب كانت هي تعلم ان لا علاقة له بالمجهود الذي كانت بذلته في سبيل المزرعة ستورم. لقد كان السبب، والذي كانت تعلمه جيداً، هو ما أخذت توّنب نفسها عليه بعنف، إنه جنيفر سوارد... وتساءلت عما إذا كانت تلك المرأة ستصبح هاجس حياتها. وعما يمنعها، هي جولي، من أن تقنع بما تحصل عليه فتسعد به رغم كل شيء؟ واخيراً فكرت بأن ما كان لها أن تحضر إلى سيدني فقد كانت في ستورم بأتم خير. والآن، ماذا عليها أن تفعل؟

وعندما نزلت من غرفتها، وجدت نيكولاس قد وضع عشاءه على منضدة متحركة جرها إلى قرب الأريكة وكان عليها شطائر جبن وإناء فاكهة وإبريق قهوة.

فقالت: «يا للرائحة الشهية. لم أكن اعلم انك طباخ.»

فعبس قائلاً: «انني طباخ عادي جداً. اجلسي. اتريدين ان تستمعي إلى شيء من الموسيقى؟»

فقالت: «نعم، من فضلك.» وسرعان ما انبعثت موسيقى القيثارة الجميلة تملأ جو الغرفة. فخفضها وجاء يجلس بجانبها.

وسمعت نفسها تقول: «إني احب شطائر الجبن المسخنة.» وتساءلت عابسة عما جعلها تشعر بمثل هذا الهدوء في مشاعرها. اهي الموسيقى؟ أم كون نيكولاس اعد طعامه بنفسه؟

سألها: «هل ثمة شيء يشغل بالك؟»

فقالت بسرعة: «كلا.» ومضت تأكل شطيرتها. وعندما

انتهت، سكبت لنفسها فنجان قهوة وأخذت تأكل تفاحة.

وسألها: «اخبريني ماذا اشتريت أيضاً اليوم.»

فأجابت: «اشتريت ثوباً لأرتديه غداً في المزاد، وكذلك ثوباً آخر للحفلة التي اخبرتني عنها غداً مساء.»

فرفع حاجبه قائلاً: «هل هذا كل ما كنت تريدين شراءه؟»

فقالت: «لا أدري. لم يكن مزاجي مناسباً للتسوق.»

فقال: «وكيف يجعل الشخص مزاجه مناسباً؟»

فقالت: «هذا شيء لا يقوم به الشخص بوعي منه... فهو إما ان يكون مزاجه مناسباً أو لا يكون.»

فقال: «تعنين أن العوامل الخارجية هي السبب.»

فقالت: «ربما.»

فقال: «هل معنى هذا انك لو كنت تشعرين بالرضى والسعادة لكنت خرجت لتنفقي كل نقودك في الأسواق؟»

ففكرت لحظة وعلى فمها ابتسامة باهتة، ثم قالت: «قد يكون الأمر هو العكس. فبعض الناس يقومون بذلك عندما يكون مزاجهم سيئاً كئيباً فهم بحاجة إلى شيء من البهجة.»

فأخذ يرشف قهوته وقد اسند ظهره إلى الخلف، وقال: «ما الذي اريد ان اعرفه هو، اي من هذه الحالات تنتابك؟»

فاستدارت إليه، وهمست: «لماذا؟»

قال: «لماذا اريد أن اعرف؟ ولماذا لا اعرف؟»

فقالت: «انني احياناً سعيدة مطمئنة، واحياناً لا...» وسكتت فجأة واضعة يدها على فمها.

قال: «لقد مضت فترة، اثناء الحفلة، كان يبدو عليك فيها الأمران.»

فقالت: «نيكولاس.» وأفزعها ان وجدت عينيها تمتلآن

دموعاً، فتابعت تقول: «انني... انه ليس من السهل ان...» وسكتت.

قال: «ليس ثمة ما تخافين منه.»

قالت: «المسألة ليست هي انني اخاف من شيء ما.»

قال: «حسناً ان بإمكانك إذن ان تريحي نفسك.»

قالت: «ولكنني متعبة قليلاً.»

فقال: «وكذلك انا.»

سألته: «كيف حال الأمهار؟ هل هذا ما قمت به هذا النهار؟»

فقال: «نعم، وقد رأيت ان كل شيء يسير على ما يرام.»

سألته: «هل ستوضع في المزاد غداً؟»

فقال: «سيوضع جزء منها غداً، والبقية في اليوم التالي.»

قالت: «اظن كل شيء تحت تصرف فيرا.»

فقال: «نعم، بكفاءتها النادرة، ولكنها اصبحت في الواقع، شديدة الإزعاج حالياً.»

فنظرت إليه مستغربة وهي تقول: «نيكولاس، لم اتوقع ان اسمع هذا منك ابداً.»

فقال عابساً: «لا ادري السبب، ولكن يبدو لي انها اصبحت في المدة الأخيرة ضيقة الصدر.»

فضحكت قائلة: «مسكينة فيرا.»

نظر إليها قائلاً: «لا يبدو عليك التأثر وانت تقولين هذا.»

فقالت متحدية: «كلا، فأنا لا اشعر بذلك. انها تملؤني غيظاً.»

فضحك قائلاً: «ربما هي تحسدك.»

فقالت: «انني واثقة من هذا. ولكنها تحسدني لأجلك فقط... اعني...» وسكتت، وتحركت قلقة.

قال بهدوء: «كنت اعني انها تحسدك لفتوتك ونضارتك، وجمالك وشخصيتك الأخاذة... لمثل هذه الأشياء هي تحسدك.»

فهمست: «إذا كان الأمر كما تقول، فإنك لا تدري كثيراً عما تسببه لي بعض هذه الصفات.»

فقال: «هذا غير معقول، فهذا الصفات بالنسبة إليّ هي غير ذلك.»

فتأوهت قائلة: «آه، يا نيكولاس.»

وقال بجد: «جولي وايت؟»

فقالت: «لا استطيع ان اتكلم يا نيكولاس. انني اعلم انه أمر في غاية السخافة، وأنا واثقة من ادراكك ان ما اقوله هذه اللحظة هو الصواب، انما...»

فقال: «إنني مدرك لهذا.»

فقالت: «حسناً، ان الأمر ليس ما تظنه.»

فلوى شفتيه قائلاً: «ليس ما اظنه؟»

فقالت: «كلا.»

فقال: «حسناً، دعينا نتخذ طريقة عدم الكلام عن الأمور التي لا يمكن الكلام عنها. فإذا كنت تريدينني، فما عليك إلا ان تومئي برأسك.»

قالت فيرا: «هل يمكنك ان تسرعي قليلاً يا جولي؟ ان أول فوج من الأمهار سيقدم للمزاد بعد نصف ساعة.»

فأجابت جولي: «اننا لن نتأخر. صدقيني يا فيرا،

فأنا لا اريد ان يقبض علي بمخالفة حدود السرعة.»

فقالت فيرا: «اعلم ذلك، ولكن كان علي ان اكون هناك منذ ساعات. ليس لأجل الخيول فقط، وإنما هناك خيمة الضيافة يجب أن تقام وكذلك عرض اسرجة موركنغ... لماذا حصل لي حادث السيارة ذاك في وسط اكثر الشوارع زحاماً؟»

فقالت جولي: «ليس للمرء حيلة في أمور كهذه.» كانت تواسيها ظاهراً، ولكنها كانت في داخلها تشعر بسرور خبيث. إذ أن فيرا، لأول مرة في حياتها، يبدو عليها قلة الثقة بالنفس. كان شعرها مشعثاً ووجهها شاحباً، كما بدا على بنطالها الجينز الأنيق لطخة من الشحم وكذلك على حذائها الطويل المصنوع باليد. وكان الارهاق الشديد يبدو على ملامحها. أما ما كان حدث فهو ان سيارتها قد تعطلت وهي في طريقها إلى مركز المزادات، فاتصلت بهما بالهاتف حيث اخبرها نيكولاس انه سيذهب إلى المركز حالاً، وان جولي ستذهب لاحضار فيرا حالما تسوي هذه مشكلتها. وقالت جولي دون أن تتمكن من اخفاء سخرية خفيفة شابت كلماتها: «انني متأكدة من أن بإمكان نيكولاس أن يقوم بالعمل.»

فقالت فيرا وهي تمسح لطخة الشحم عن بنطالها: «انك لا تحبينني، أليس كذلك يا جولي؟» والقت نظرة حاقدة على ملابس جولي التي كانت تتألف من ثوب بسيط، إنما رائع، من الكتان، بني اللون، وحذاء منخفض من الشاموا وقبعة رائعة من القش. وكان شعرها منسدلاً لامعاً كالحرير، كما كانت بشرتها صافية نضرة لا تشوبها شائبة. وكان صباغ شفتيها برونزي اللون، وكان يفوح منها عطر مس ديور

خفيفاً كلما تحركت. وشعرت جولي بفيرا تدقق النظر في مظهرها، فجذبت نفساً عميقاً وقالت بكل ما امكنها من نعومة: «انك تقسين علي احياناً، يا فيرا.»

فقالت فيرا: «انك...» ثم سكتت، منتقلة إلى موضوع مختلف تماماً بعد إذ تمتمت جولي تشتم بصوت خافت وهي ترى شرطي السير يلوّح لها فتقف.

فقالت تخاطبها: «لا بد انك كنت مسرعة بالسير.»

فأجابت: «لقد كنت متجاوزة السرعة المسموح بها فقط بكيلو مترين، وهذا كله بسببك.»

فتأوهت فيرا قائلة: «يا لهذا التأخير. وهذا الشرطي قد يضعك في السجن إذا انت تجادلت معه.»

فابتسمت جولي بعذوبة وهي تقول: «اتجادل معه؟ لا يمكن ان افعل هذا... ايها الضابط.»

قالت ذلك تخاطب الضابط الشاب الذي اطل عليها من النافذة، وتابعت تقول: «قبل ان تكتب أي شيء على الأوراق هذه، هل يمكنني أن اقول كلمتين للدفاع عن نفسي؟ في الواقع يمكنني ان اتكلم بشكل افضل إذا انت سمحت لي بالنزول من السيارة.»

وبعد ذلك بعدة دقائق، قالت فيرا وهما تتابعان السير دون كتابة أية مخالفة على الأوراق، قالت تخاطب جولي: «كيف حدث أن...؟» وبدا ان الكلمات تعوزها، فردت عليها جولي ضاحكة: «وما الخطأ في هذا؟ لقد اوضحت له بكل هدوء لماذا كانت سرعتنا هذه. مبينة له، بكل احترام، انه في الحقيقة، كان عليه أن يزاول عمله هذا في الأماكن المزدحمة وليس في البراري حيث قد تتجاوز احياناً،

سيارة منعزلة حد السرعة بكيلومترين أو ثلاثة. كما انني عرضت عليه أن اتبرع بالغرامة هذه إلى أي ناحية من اعمال الخير يفضلها، إذا هو أعاد النظر في وضعنا هذا، وهذا ما فعله.»

فقالت فيرا بمرارة: «هذا لأن جمالك اوقفه عن العمل. ولكن لا تظني ان نيكولاس يمكن أن تغريه وسائل تلميذة المدرسة عليه حالياً، ولكن هذا لن يدوم. فأنت صغيرة السن بالنسبة إليه. ودوماً ستكون هناك جنيفر... فهي التي قامت بتجهيز البيت في سيدني. بالمناسبة، هل علمت انها هي التي قامت بكل هذا؟ وأنا لا املك إلا التساؤل عما إذا كانت مباهاة نيكولاس بك امامها ما هي إلا عقاباً لها لزواجها من ستيف سوارد.»

فتقبضت اصابع جولي على عجلة القيادة حتى كادت اصابعها تبرز من تحت الجلد. ولكنها قالت بهدوء يقرب من الرقة، ما دهشت له هي نفسها: «فيرا، سأنسى كل هذا الذي قلته. ها نحن قد وصلنا.»

ولكن، هل تراها ستنسى حقاً؟ أخذت جولي تفكر في ذلك وهي تجلس على المنصة التي كانت حجزت لها، وأخذت تنظر إلى فيرا التي كانت تقود الفرس هانتر نحو الجمهور الذي برّح به الانفعال. رأت ان فيرا قد استطاعت إزالة لطخة الشحم عن بنطالها، بطريقة ما، كما ارتدت معطفاً خفيفاً كحلي اللون كتب عليه من الخلف موركنغ، وكانت تتعامل مع الفرس بلطف وخبرة بالغين. كانت الفرس رائعة وقد ألبست معطفاً رائعاً بني اللون، ذات عينين يقظتين ذكيتين كانت تجيلهما بين المتجمهرين

وقد شهرت اذنيها. وأنسى منظر الفرس هذه جولي كل شيء وهي تنظر إليها.

ثم أتى نيكولاس يجلس بجانبها على المقعد وهو يقول متهكماً: «انها تدير كل شيء بحنكة بالغة.»

فقالت جولي وقد خنقتها غصة: «انها رائعة.»

فقال بلهجة ذات معنى والدلاّل يقرأ سلالة الفرس: «اننا سندخل في منافسة رائعة كذلك. يبدو ان هناك مؤسسة من جنوب افريقيا مهتمة بالأمر وكذلك شيخ من بلاد العرب.»

فقالت: «آه، أين هو؟»

أجاب: «لا اظنه هنا شخصياً، ولكن وكيله امامك هناك.» وأشار إلى مكان يبعد عنهما قليلاً.

فتمتمت جولي وهي ترى جنيفر وستيف: «وكذلك آل سوارد.» وكانت جنيفر ترتدي ثوباً اصفر يستدعي النظر ويناسب لون شعرها القاتم بشكل رائع.

فأجاب: «آه... ها قد ابتدأوا.»

ولكن المزاد فتح بهدوء، وبعد دقائق استدارت جولي نحو نيكولاس قلقة لتراه في أتم راحة، فقال لها: «انهم يزاولون لعبة القط والفأر.»

وكان هذا ما يحدث في الحقيقة. وعندما ابتدأ التوتر يشتد، ارتفع المزاد. ثم اخذت الأرقام تقفز عالياً ليتصاعد هدير الجمهور. ولمعت اضواء الكاميرات عندما زحفت بعثات التلفزيون بين الجمهور، ثم ساد المكان صمت مطبق عندما ظهر ستيف سوارد الذي تنحى جانباً تاركاً مجالاً للمنافسة بين المؤسسة الأفريقية ووكيل الشيخ العربي، إلى ان انسحب الاثنان. وتشبثت جولي بيد نيكولاس إذ ظنت

ان المزاد قد انتهى عندما نادى الدلاّل... لأجل آخر مرة. ولكن قبل ان يضرب بمطرقته رفع ستيف سوارد يده. وساد الهرج والمرج لحظة قصيرة عاد بعدها السكون، وفي النهاية ارتفع هدير الجماهير بشكل جعل الفرس ترقص على خشبة العرض، بينما فيرا تتشبث بها عابسة، وذلك حين استقر الأمر لستيف سوارد.

صدر كل ذلك في صحف اليوم التالي، كما انه ظهر على شاشة التلفزيون في نفس المساء لتبدو جولي وهي تشد على يد نيكولاس بعنف بينما تراقب المزاد، وستيف سوارد يبتسم بهدوء في عيني زوجته... الأسرتان ويلز وسوارد مع الفرس، فيرا واقفة بجانب الفرس... وبقي ذلك العرض مستمراً إلى منتصف الليل... وكان هناك التهاني من الناس، والمقابلات... وعندما عادا إلى البيت كان الإرهاق يبدو واضحاً على جولي. قالت ونيكولاس يغلق الباب خلفهما «يا له من يوم.»

فقال: «اعلم ذلك... اتريدين شيئاً؟»

فقالت: «اريد ان أنام فقط.»

صعدا السلم ودخلا غرفتهما وهو يقول: «لقد كنت رائعة.»

فعبست قائلة: «انني لم اقم بكثير من العمل، ان الفرس قامت بكل شيء.»

فقال: «اعني... كنت رائعة في مقابلاتك مع الصحفيين، مع الأصحاب الجدد لسلالة موركنغ السداسية، ولكل ما على الزوجة ان تتميز به في ظروف كهذه.»

فقالت: «انني مسرورة لذلك. ولكنك انت الذي ربيت

الفرس وانت الذي انقذت حياتها حين اصابها المغص.»

قالت له: «نيكولاس. لا بد ان ستيف سوارد يملك اموالاً طائلة.»

فقال: «هذا صحيح.»

فقالت: «اتظنه أغنى من الشيخ؟»

أجاب: «اشك في ذلك، ولكن عنده ما يكفي. لماذا؟»

فقالت: «انني اتساءل فقط.»

فقال: «نامي يا جولي. إياك ان تنطقي بكلمة اخرى إلا إذا احببت ان تشرحي لي السبب في ان فيرا وصلت اليوم وهي تتحدث بأنك اوقفت مسيرة القانون.»

فجلست جولي لتقول ساخطة: «هل هذا ما قالته؟ لولاها لما كان علي ان اقنع الشرطي بأن يتسامح معي في مخالفة سرعة. انها حقاً...»

فقاطعها قائلاً: «هل اقنعت الشرطي بأن يتسامح معك في مخالفة سرعة؟ لم اكن اظن هذا ممكناً.»

فقالت: «حسناً، انه يحدث بشرط ان تتحدث إليه قبل ان يكتب شيئاً.»

فنظر في عينيها قائلاً: «يبدو ان لك شيئاً من الخبرة في هذه الأشياء.»

فأجابت: «كلا. انها المرة الأولى. آه، نيكولاس. انني لم اتصرف مثل امرأة مدمرة إذا كان هذا ما ستظنه. ولم أكن قط في الحقيقة ولا بأي شكل. وليس في كياني الآن جزء لم تتملكه انت، و...» ولكنها سكتت فجأة وهي تعض شفتها.

فقال برصانة: «هذا عظيم إذن. انني معجب بكل ما نطقت به من القلب. كلا. لا تبدي هكذا وكأنك تشعرين بأن عليك أن

تتراجعي عن اقوالك. والآن، يا عزيزتي، هناك إطفاء النور والصمت. تصبحين على خير.»

وكان هذا ما جعل جولي تستغرق في النوم دون أن تتمكن من التفكير في الانطباعات التي تخلفت لديها عن هذا اليوم الصاخب الذي مر بها... ما الذي قالته فيرا، وكيف بدت جنيفر، وما بدا على ستيف ونيكولاس، للحظة قصيرة قبل ان يتصافحا، من توتر وبرود.

www.elmanaracia.com

الفصل الثامن

كانت الساعة حوالي الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي، عندما قال لها نيكولاس: «لماذا لا تذهبين إلى البيت يا جولي، فهناك سهرة مع الأهل والأصدقاء الليلة، لا تنسي. إنك ما زلت تتثاءبين منذ ساعة.»

فقالت: «آسفة.» وتثاءبت مرة أخرى وابتسمت له.

وعندما أصبحا في البيت، غيرت ثيابها واستلقت على الأريكة لترتاح وتفكر في كل ما حدث أثناء الأيام القليلة الماضية، ولكنها استغرقت في النوم لمدة ساعتين. وتساءلت عما جرى لها، وعن السبب في هذا النعاس، ولماذا لا تستطيع أن تستجمع أفكارها بالنسبة إلى أيّ شيء؟ كانت تتساءل عن كل هذا وهي تستيقظ شاعرة بإرهاق ودوار شديدين.

ولكن حماماً منعشاً كان له الأثر الكبير في استعادة حيويتها. وابتدأت تسرّح شعرها وتضع زينتها، ولكنها كانت ما تزال تدرك عدم استطاعتها استجماع أفكارها بالنسبة للأشياء. وحدثت نفسها وهي تنظر إلى صورتها في المرآة أنها ربما ما كان لها أن تحاول ذلك. فماذا باستطاعتها أن تفعل لتغير الأشياء على كل حال؟ كيف بإمكانها أن تغيّر ذلك العداء العميق بين ستيف سوارد ونيكولاس؟ كيف تستطيع أن تساعد جنيفر؟ وبالنسبة لما قالته فيرا فهي لا تملك إلا أن تتمنى أن تكون على

خطأ وربما قد حان الوقت لكي تكون محبة للخير...

«جولي؟»

فاتسعت عيناها وهي ترى صورة نيكولاس في المرآة أمامها، فقالت: «لم أسمعك تدخل المنزل.»

فقال: «أعلم ذلك، فقد كنت بعيدة عن هذا المكان أميالاً عديدة، وأنا أتساءل أين كنت؟»

فقالت بسرعة: «لقد حدثت مؤخراً أشياء كثيرة. لا بد أن هذا هو السبب. لقد رقدت ساعات، وعندما استيقظت أحسست بنفسي كلوح من خشب.»

فقال: «إنك لا تبدين كلوح من الخشب هذه اللحظة.»

كان ثوبها بسيطاً في مظهره، فقد كان ذا تنورة طويلة واسعة فوقه جيليه مقفولة بأزرار إلى العنق، وتنحدر إلى ركبتيها، ما جعله يبدو مذهلاً بجماله. وأخيراً، وقفت أمام نيكولاس، وقد عادت فرفعت شعرها فوق رأسها، وقد رشقت فيه أزهاراً صغيرة صنعت من نفس حرير الشيفون الذي صنع منه الثوب. أما الحذاء وحقيبة اليد فقد كانا فضيين، أما جماله فكان يتمثل في الكلفة التي كانت بلون عينيها.

أخذ يمعن فيها النظر قائلاً والابتسامة تلوح على شفتيه: «أين وجدته؟»

فقالت: «ما أن وقعت عيناي عليه، حتى فكرت، هل من الممكن أن أرتدي ثوباً غيره لهذه السهرة؟»

فقال: «صحيح، كيف يكون هذا ممكناً؟»

قالت: «وهو أيضاً مريح جداً.» وأخذت تدور أمامه حول

نفسها وهي تتابع قائلة: «إنه مناسب جداً. وأنا أعرف أن ليس ثمة شبيه له، لأنه متفرد الطراز، وقد كلفني الكثير من نقودك يا نيكولاس.» وجلست أمامه وهي تلمس أحد الأزرار اللؤلؤية وتقول: «ليس معنى هذا أن هذه الأزرار هي من اللؤلؤ الحقيقي، ولكنني أرجو أن لا يكون لديك مانع.»

فسألها: «ولماذا أمانع؟»

فقالت: «ذلك أنه حتى أبي كان ينتابه نوع من الصدمة حين كان يرى ثمن مثل هذه الملابس. كم أتمنى لو لم أنطق بتلك الكلمات عن ضرورة أن أكون زوجة حريصة مدبرة. أشعر بأنها ستصبح هاجساً في نفسي.»

قال وعلى وجهه ابتسامة واسعة: «جولي... إنني أكون سعيداً في أن أبذل ثروتي في سبيل أن تبدي سيدة رائعة الجمال. تذكري ذلك دوماً.»

فقالت وقد ساورها شعور غريب بالخجل: «ما أجمل كلامك.. ولكن أعدك بأنك لن تتكلف كل ذلك.» وتابعت قبل أن يجيبها فقالت: «وأنت كذلك تبدو رائعاً. عليّ أن أجعلك تحت الرقابة خوفاً عليك من النساء العابثات.»

وفي السيارة، قالت له فجأة: «أظن الجميع سيكونون هناك.»

أجاب: «أظن ذلك.»

وكانوا موجودين. آل سوارد وفيرا وكان معها مرافق طويل القامة حسن المظهر، والافريقيون الجنوبيون ووكيل الشيخ... كلهم كانوا يجلسون إلى مائدة واحدة...

وجذبت جولي نفساً عميقاً وهي تحدث نفسها بأن

بإمكانها أن تتدبر أمرها مع الجميع. ثم تقدمت إلى الأمام شامخة الرأس.

كان عليها أن تتدبر أمر فيرا أولاً، فهي التي جاءت بعد العشاء لتجلس بجانبها.

وقالت فيرا متوترة وهي تجلس بجانب جولي: «إنني أريد أن أعتذر.»

فحملقت فيها جولي بدهشة. كانت هذه ترتدي ثوباً أسود، وقد بدا الاضطراب في عينيها الخضراوين. فأجابتها جولي ببطء: «أشكرك. ربما أنا أيضاً كنت على شيء من الخطأ.»

ولكن فيرا تجاهلت جوابها، وتابعت قائلة: «ما كان لي أبداً أن أقول ما قلته. كان السبب لا يعدو غيرة صرفة. ذلك أنه عندما فسخ علاقته مع جنيفر، والتي صادف أنها كانت من صديقاتي...» وسكتت فيرا وقد بدا عليها ضيق لا يصدق وهي تتابع قائلة: «حسناً، لقد ظننت عند ذاك، أنه قد يكون ثمة بعض الأمل لي... وما راعني إلا تحطم ذلك الأمل على يد فتاة صغيرة... هي أنت، وهذا ما بعث الجنون إلى رأسي.»

ولم تدر جولي ماذا تقول، وأخيراً تمتمت: «آه، إنني... حسناً، لقد عجبت لهذا... أريد أن أقول...»

فقاطعتها قائلة: «ليس عليك أن تقولي شيئاً يا جولي. فأنا لم أتعود على المنافسة، ولكنني فقط لم أستطع أن أصدق ذلك.»

فسألتها جولي بشكل تلقائي: «ماذا... أعني، لماذا الآن؟»

فحوّلت فيرا نظراتها بعيداً ثم قالت: «لقد تعرفت إلى رجل آخر.»

فنظرت جولي إلى وجهها الذي أشاحته عنها، وتساءلت لماذا لا تبدو لهجتها صادقة.

ثم عادت فيرا تقول: «بالمناسبة سأترك العمل مع نيكولاس.»

فانتفضت جولي وهي تهتف: «آه، لماذا ستفعلين ذلك؟ أعني...»

فقاطعتها فيرا قائلة: «يجب أن أفعل ذلك، يا جولي. وكان عليّ أن أفعله منذ سنوات. سأخبره بذلك الليلة.» ورفعت نظراتها لترى جنيفر قادمة نحوهما وهي تقول بمرح: «أيمكنني الجلوس معكما؟»

فردت الاثنتان، جولي وفيرا معاً: «طبعاً.» وللحظة قصيرة جداً تبادلت الاثنتان نظرة تحذير بينما كانت جنيفر تتخذ مقعدها. وانتبهت جولي، وهي تنظر عبر المائدة، إلى نيكولاس يراقبهن، ولكنه سرعان ما حول نظراته إلى شخص جاء يتكلم إليه. فكرت في غرابة هذا الوضع. ثلاث نساء يحببنه، أو قد سبق وأحببنه. بماذا تراه يفكر؟ وبماذا يفكر الآخرون؟ واعتراها شعور بأنهم لا شك يتساءلون كيف ستتصرف جولي ويلز مع حبيبة سابقة لزوجها وأخرى تتمنى لو كانت حبيبته... حسناً، ستريهم.

سألت جولي: «هل فكرت في اسم تطلقينه على الفرس هانتر يا جنيفر؟»

فأجابت هذه: «لقد فكرت في ستين اسماً ولكن لم يعجبني أيّ منها تماماً. هل لديك اسماً معيناً يا جولي؟ وأنت يا فيرا؟»

فأجابت فيرا: «حسناً، إنني دوماً أطلق على الجياد

القاب التدليل، ولكن بالنسبة لهذه الفرس فقد سبق وأنقذ نيكولاس حياتها وأرى ان تسميها... نيكولاس.»

وفكرت جولي في فيرا وكيف تتصرف بهذا الشكل؟ وكأن من الممكن أن يقبل ستيف سوارد بتسمية الفرس باسم رجل كان حبيباً لزوجته.

ولكن جنيفر تصرفت بالأمر بشكل رائع، إذ سألتها: «أخبريني كيف أنقذ حياتها؟»

انخرطت فيرا في وصف طبيعة المغص الخطرة بالنسبة للفرس، وكيف أبقاها نيكولاس على قدميها جاعلاً إياها تمشي على الدوام، وكيف أنه كان الوحيد الذي كانت الفرس تثق به وتطيعه في محنة الألم.

فالتفتت جنيفر إلى جولي تسألها: «وهل كنت أنت موجودة، حينذاك يا جولي؟»

أجابت فيرا: «حسناً، إنها لم تكن. فقد شاءت جولي أن تضيّع نفسها في البراري في ذلك اليوم.»

فقالت جولي برقة: «لقد كان ذلك في اليوم التالي في الواقع، كما أنني لم أشأ أن أضيّع نفسي إنما حدث ذلك بشكل غير متوقع... أوه.» ورفعت نظراتها بعد إذ شعرت بيد على كتفها لترى نيكولاس يقول لها: «هل يمكن أن اتحدث إليك على انفراد يا حبيبتي جولي؟»

فأجابت: «بكل سرور.» ووقفت وهي تهمس له قائلة: «لقد كنت فعلاً بحاجة إلى الابتعاد من هنا.»

سألها: «هل لك أن تخبريني عن السبب في تمنيك الابتعاد عنهما؟»

فأجابت: «بصراحة، إن فيرا عديمة اللباقة.»

فسألها: «وما الذي قالته الآن؟»

أترى قد اختفى ذلك التساؤل من عينيه؟ وتذكرت فجأة اعتذار فيرا لها، وأنها ستترك العمل عند نيكولاس، فقالت: «لا شيء.»

فقال: «جولي.»

أجابت: «كلا يا نيكولاس. لا أريد أن أكون تافهة كثيرة الشكوى.»

وبعد مرور بعض الوقت، ودعا الحضور، خارجين.

وطبعاً، كانت التعليقات الودية من الحضور تصل إلى مسامعهما، مثل ان الليل ما زال في أوله، وكذلك زواجهما. وهكذا إلى أن توهج وجه جولي.

ولم يتبادلا الكلام حتى وصلا إلى المنزل، حيث قادها مباشرة إلى غرفة النوم، ثم أوقفها في الوسط وأدارها إليه قائلاً وهو يرفع وجهها إليه ناظراً في عينيها: «جولي؟ ما بك؟»

فأجابت: «لا شيء... إنني فقط... لم أشأ أن أبقى هناك أكثر من ذلك.»

فقال: «كان ذلك واضحاً.»

فعبست وهي تتساءل عما إذا كانت تصرفت بشكل جعل الآخرين يتحدثون عنها.

فقال باسماً: «على كل حال، إذا كانت رغبتك هي أنك تفضلين أن تكوني في هذه الغرفة فلا بأس في ذلك.»

فقالت وقد احمر وجهها: «إنك كنت تعلم.»

فتمتم قائلاً: «لقد ظننت ذلك.»

قالت: «وكذلك الآخرون. كم هذا مخجل.»

قال: «ولكن ليس في ذلك ما يخجل.» وضحك متابعاً: «ليس لك أن تهتمي لشيء، يا طف...» ثم سكت.

فهمست: «طفلتك؟ لا يد أنك تظنني طفلة الآن.»

فحدق فيها بإعجاب وقال: «كلا، إنك لست كذلك يا جولي. ولا تدعيني أبداً أراك طفلة. إنك ناضجة في الواقع.»

لقد كانت مستميتة لكي تسأله أن يكون صريحاً معها بالنسبة إلى جنيفر سوارد وعن السبب في تعريضها، هي جولي، إلى الاحتكاك بها بهذا الشكل، رغم أنها تعلم أن البديل لذلك كان في تركها في ستورم... كما أنها في الحقيقة، لا تستطيع تجنبها إلى الأبد. ولكن شيئاً منعها من ذلك. لم تستطع أن تقول شيئاً. إنها تشعر بأن الكرة قد أصبحت في مجالها الآن، وأن عليها أن تتصرف... إنها تحبه، وهي زوجته وفي امكانها هي وحدها أن تجعل من ذلك طريقاً إلى السعادة. إنها على الأقل قد تخلصت الآن من إحدى المشكلات، وهي فيرا. ولكن، هل حدث ذلك حقاً؟ ولماذا ما زال في ذهنها نحو فيرا، علامة الاستفهام هذه؟

اقتربت منه قائلة: «نيكولاس. أتريد أن تعلم السبب الآخر الذي جعلني أريد الابتعاد عن السهرة؟»

فقال: «كلا.»

قالت: «أردت، في الواقع أن أنفرد بك لفترة. نحن الاثنين فقط. إذ يبدو أننا لا ننفرد بأنفسنا إلا بشكل عابر، أليس كذلك؟»

فأجاب: «حتى هذا الشكل العابر لا نقوم به كما ينبغي. ولكنني مدرك لما تعنين يا جولي. وأنا آسف لكل هذا. بما في ذلك فيرا وجنيفر...»

سألته: «وهل أخبرتك فيرا؟»

فأجاب: «نعم.»

قالت: «إنني آسفة لهذا. إنني لست... أعني أنني لم أفعل شيئاً يسبب ذلك.» وترددت ثم عادت تقول: «سوى أنني زوجة لك.»

فقال باسماً: «أعلم ذلك. إنني في الواقع لم أشأ أن يكون لزواجي مثل هذا التأثير على الآخرين. ولسوء الحظ، رحيل فيرا سيعطلنا عن السفر إلى إينشيل لفترة قصيرة، ولكننا سنقوم بذلك في أقرب وقت ممكن. وفي نفس الوقت سنكون، على الأقل، وحدنا في البيت. ما رأيك؟»

ولم يكن ثمة حاجة لكي تخبره برأيها، فقد كان واضحاً في عينيها.

ولكن صحف الصباح حملت خبراً بأن ستيف سوارد قد أصيب بنوبة قلبية في تلك السهرة ونقل إلى المستشفى.

همست جولي شاحبة الوجه: «نيكولاس.» كانا ما يزالان معاً في غرفتهما، وكان قد صنع الشاي ثم أحضره مع صحف الصباح. وأخذا يحدقان في الصور التي طالعتهما بها الصحيفة. صورة لهما، وأخرى لستيف وزوجته بجانب الفرس، ثم تابعت تقول: «لا بد أن هذا حدث بعد خروجنا من السهرة.»

رفع نيكولاس وجهه إليها، فلم تتمالك نفسها من الذهول للتوتر الذي بدا عليه، ولكن قبل أن تتفوه بكلمة، تصاعد رنين الهاتف. وكانت فيرا هي التي اتصلت، ولكنها لم تستطع أن تفهم شيئاً من حديثه. وعندما وضع السماعة قام من السرير على الفور وأخذ يرتدي ثيابه

بسرعة وبشكل عشوائي، بنطال جينز، وقميص أسود مقفول.

سألته جولي: «ما الذي قالته فيرا.»

فتقدم يجلس بجانبها قائلاً: «لقد كانت هي هناك عندما حدث ذلك، يا جولي. ويبدو أن لديه مرض في القلب قديم لا يعلمه الكثيرون. إن جنيفر محطمة وليس لديها من تلجأ إليه. فأسرته كانت تعارض في زواجه ممن تصغره سناً بكثير، كما أن ليس لدى جنيفر أسرة. وقد لازمتها فيرا طوال الليل ولكن حدثت أشياء سيئة لهما، إذ أن أحد ابنائه اتهم جنيفر بتسببها في تقريب أجله، ومنعها من الاقتراب من سريره. كما أنه قال أيضاً إن دفعه مثل ذلك المبلغ ثمناً للفرس والذي كان عبارة عن مبارزة معي أنا بسببها هي، كان في ذلك الضربة القاضية، يا جولي.»

فهمست: «إن عليك أن تذهب إليها.»

فقال: «هل تأتين معي؟»

فأجابت: «إني.. كلا يا نيكولاس. ليس هذه المرة.»

قال: «جولي..» وسكت وقد بدا عليه لحظة أنه يتعذب، ثم عاد يقول بهدوء شديد: «لقد سبق وانتهى كل شيء بيننا. تذكري هذا.»

فهمست: «سأفعل. أعدك بذلك.» نظر في عينيها ملياً وعاد يقول: «إنني أحبك يا جولي.» ثم خرج.

بقيت مستلقية في فراشها تفكر في أن هذا قد يكون صحيحاً بشكل ما. ولكنها أخذت تتساءل عن الفائدة التي ستتمخض عن وجوده في أسرة سوارد في ظرف كهذا. ولم

تستطع أن تمنع نفسها من التفكير في ما قد يحدث لو أن ستيف سوارد مات.

كان ذلك اليوم أطول أيام حياة جولي حيث أن حياة ستيف سوارد كانت تتأرجح بين الموت والحياة. لقد اتصل بها نيكولاس هاتفياً عدة مرات، ولكن بين هذه المرات كانت لا تجد سوى التفكير. ووجدت نفسها تفكر وتفكر وذلك في دائرة مفرغة، لتعود بشيء من الدهشة إلى... فيرا، مثلاً، التي لم تكن هي تعلم أنها كانت صديقة حميمة لجنيفر والتي أثبتت اخلاصها بالبقاء بجانبها أثناء تلك الليلة الهائلة التي مرت. فيرا التي لم تسمح لنفسها بالأمل في علاقة مع نيكولاس، كما سبق واعترفت، إلا بعد فسخ علاقته بجنيفر. فيرا التي أنهت حربها الصغيرة معها، هكذا فجأة، إنما دون أن تخبرها بالسبب الحقيقي لذلك. وفكرت جولي إن كان من الممكن أن يكون السبب هو أن فيرا قد تأكدت الآن من أن جنيفر ما زالت هي منافستها في قلب نيكولاس وليست هي، جولي!

كانت تجلس في الردهة تحدق في الفراغ عندما عاد نيكولاس إلى المنزل. كان الجو مدلهما، وكانت هي ترتدي بنطال جينز وقميصاً حريرياً طويل الكمين بلون القشدة، وقد ربطت شعرها إلى الخلف. وبدا الاهتمام في عينيها وهي تقف عندما فتح الباب.

دخل الردهة وقد بان عليه التعب، وذهلت مرة أخرى وهي ترى التوتر ما زال يسود ملامحه. ولم تستطع أن تجد طريقة تلقي بها عليه السؤال الذي كان يحتل عقلها.

تاهت عيناه لحظة، لتعودا فتستقران عليها وهو يقول

بهدوء: «لقد اجتاز مرحلة الخطر. فقد مرت الأزمة، ولكن مرحلة الشفاء ستكون طويلة بطيئة.»

همست: «الحمد لله.»

فتقدم يجلس بجانبها على الأريكة، وألقى برأسه إلى الخلف متعباً. وبقيا في هذا الوضع عدة دقائق صامتين، إلى أن تمكنت جولي من أن تسأله: «كيف حال جنيفر؟»

أجاب: «إنها بخير الآن.»

فعادت تسأل: «وماذا عن... أسرته؟»

فاستقام في جلسته، ثم قال: «لقد هدأوا قليلاً. وما قالوه إنما كان تحت ضغط ذلك الظرف الدقيق.» وحك ذقنه بضجر، ثم قال: «جولي...»

فقاطعته قبل أن يستمر في الكلام: «نيكولاس، ألم يجدوا وجودك بينهم غريباً؟»

فقال عابساً: «لم يكن الأمر مقبولاً في البداية، ولكنني أظن أنني جعلتهم يدركون أن وجودي إنما كان للتوسط لأجلها. بالنسبة إلى جنيفر...»

ولكن جولي وقفت فجأة وهي تقول: «لا بد أنك... أتريد أن تأكل؟ لا أظنك تناولت شيئاً طول النهار. سأجهز شيئاً الآن. ما رأيك في شيء تشربه؟ إبقى هنا، وسأحضر الطعام إليك.» كانت تتكلم بمرح، ولكنها في سرّها كانت تقول، إني آسفة، اني أعلم أنني أنا التي أثرت الموضوع، إنما لم يعد بإمكاني أن أتحدث عن جنيفر أكثر من ذلك. كلا، لا أستطيع...

وقف مشرفاً عليها، طويلاً أسمر رائع الرجولة. ثم قال: «جولي...»

فارتجفت في أعماقها ولكنها لم تدرك أن الخوف والثورة كانا باديين عليها بجلاء وهي تقول متلعثمة: «إياك.» لم تكن واثقة تماماً مما كانت تريد أن تقول، ولكنها شعرت فجأة أنها لم تعد تحتمل.

توقف لحظة وقد ضاقت عيناه، ثم قال بعد لحظة طويلة بصوت متزن: «ماذا تعنين بقولك إياك يا جولي؟»

فأجابت: «إنني.. إنني.. فلندع هذا الموضوع، أرجوك يا نيكولاس.» كان صوتها مضطرباً ولكن عزماً مفاجئاً لمع في عينيها وهي تتابع قائلة: «دعنا فقط... نتظاهر بأن كل شيء قد انتهى حقاً.»

فقال: «ولكنه انتهى فعلاً، يا جولي و...»

فقالت: «حسناً، لا بأس، والآن دعني أذهب لأحضر لك شيئاً تأكله. إنك في الواقع تؤذيني.» وحاولت أن تضحك.

قال: «إنني أحاول فقط أن أطمئنك يا جولي...»

فعادت تقاطعه قائلة: «آه، إنني مطمئنة. بالمناسبة، هل هنالك أمل في أن نعود إلى بيتنا الآن؟»

فقال بعد لحظة توتر: «غداً صباحاً إذا شئت. جولي، هل ستأتين معي إلى موركنغ لبعض الوقت؟»

فحملقت فيه قائلة: «لماذا؟»

فأجاب: «لأنه المكان المتوقع أن أمكث فيه أكثر الأحيان إلى أن أجد موظفاً بديلاً لفيرا.»

فقالت: «حسناً...» وترددت، فقد كانت متلهفة إلى العودة إلى موركنغ.

فقال: «بإمكاننا أن نأتي بغريس ومايك من ستورم.»

فقالت ببطء: «لا بأس.»

قال: «وعلى كل حال فهو بيتك الثاني الآن، وهو طبعاً بحاجة إلى من يهتم بأمره.»

ولكن، مع أن هذا ما قاما به، فقد كانت الأمور مختلفة.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

بعد ذلك باسبوع اخذت جولي تفكر في انها كانت تعلم مسبقاً بأن المجيء إلى موركنغ لم تكن فكرة جيدة. ولم يكن هذا يعني ان ثمة نقص في المكان ما عدا شيء من الرقة والمحبة والذي سرعان ما وفرته لها غريس بكل سرور. كان احدث طرازاً من منزلها في ستورم، ولكنه مع هذا كان منزلاً رائعاً. ولكن عدم الفة الموظفين في المزرعة بعث في نفسها الكآبة والحزن ما جعلها تشعر بالانكماش والارتباك مع نيكولاس، ما كانت تحاول معه جهدها ان تسترد توازنها.

كانت احياناً تنظر إلى الغرف، ثم تتساءل عما إذا كانت جنيفر هي التي اسستها... لقد كانت تفكر في ان ستورم لا تحوي نكريات عن جنيفر... وكان هذا هو السبب في رغبتها في الرحيل عن هذا المكان. ولكنها كانت تعلم جيداً ان نيكولاس لا يمكن ان يمكث في ستورم حالياً، فقد كان هذا فصل ولادة الأمهار، ومن دون وجود فيرا لا بدأن العمل سيتراكم بما في ذلك العناية بخيول السباق، هذا عدا عن اهتمام نيكولاس بالخيول.

قالت مرة لنيكولاس: «ما اسرع ما تلد الفرس، حتى تلد مرة أخرى، ان هذا لا يبدو لي عدلاً.»

فقال وقد بدا عليه لمحة هزل: «ولكن هذا ليس خبراً جديداً بالنسبة إليك، يا جولي.»

فقالت: «حسناً، إنه ليس كذلك. ولكن في هذه الحالة... اعني اننا سنغرق في الأمهار. انه سيكون كابوساً.»

فقال: «أرى الحق معك، احياناً... وهذا هو السبب في ان فيرا كانت جيدة في هذه الأمور.»

فسألته: «هل... هل تعلم ما تقوم به الآن؟»

فأجاب: «نعم. لقد حصلت على وظيفة في مؤسسة فانتاستيك.»

فقلت: «آه، هل تعني سوق المبيع حيث تباع الأمهار المختارة لأجل سباق مؤسسة فانتاستيك؟»

أجاب: «بالضبط، فهي تناسبها تماماً.»

سألته: «وكيف ستجد بديلاً لها؟»

أجاب: «لقد تدفق عليّ طوفان من طالبي الوظيفة، واختيار المناسب منهم يأخذ بعض الوقت.»

فسألته فجأة: «هل بإمكاني المساعدة؟ انني بحاجة إلى شيء اقوم به.»

كانا يتناولان الافطار، ولكن نيكولاس كان قد أمضى الليل ساهراً محاولاً تخليص مهر قد علق بالسياج. وهكذا لم يكن لديهما وقت يمضيانه معاً، وهو شيء لم تعرف ما إذا كان عليها ان تسر أو تحزن له... إذ ان في الحقيقة، ما كان سبب لها ذلك الضيق البالغ في آخر يوم لهما في سيدني، مازال لم يتزحزح. وكانت تعلم انها كانت تحتفظ، بكل دهاء، بمسافة بينها وبين نيكولاس، وكانت تعلم انه كان يعلم ذلك. ولكن ربما كانت اشد النواحي ايلاماً في الأمر هو أنه لم يقم بمحاولة حقيقة لتحطيم دفاعها هذا.

لقد حدثت نفسها قائلة: حسناً، انني أراه مشغولاً على

الدوام، وأنا افهم السبب... وكانت تحدث نفسها بذلك، مكتئبة، عدة مرات.

كانت تخاف من المقاطعة بنداء مستعجل من الاصطبلات، كما حدث ذات مرة عندما تعسرت ولادة فرس ثمينة ذات ليلة، ذلك الخوف كان هو السبب الحقيقي لذلك التجاوب المتوتر المقهور منها معه، رغم انها اعتذرت به عندما كان على وشك ان يقول شيئاً بهذا الخصوص، اعتذرت بابتسامة متكلفة، اخذت بعدها تحاول جاهدة التظاهر بالمرح والحيوية بينما كانت تشعر بأنها في داخلها، تكاد تموت، وخصوصاً عندما كان يدع الأمر يمر دون تعليق...

واخيراً اجابها، وعيناه تستقران عليها طويلاً: «يمكنك المساعدة إذا أردت، يا جولي.»

فأجابت بعناد ولهجة تحدٍ: «نعم، انني اريد ذلك.»

ولم يقل هو شيئاً بينما تشابكت نظراتهما. ثم قال بلهجة جافة: «ما الذي جرى لك، يا جولي؟» فأجابت بمرح: «لا شيء، لا شيء في العالم.» بينما اخذت تغالب دموعها وهي تتابع قائلة: «ما الذي ساقوم به وأين؟»

وحبست انفاسها متوقعة منه معارضة كلامها، ولكن رغم توتر فمه، قال بجمود: «هنالك شيء بامكانك القيام به. عندما تلد الأمهار الخارجية، أو يأخذها اصحابها، فمن المناسب ان تطلبي من احد رجالنا في المكتب ان يطوف بهم أنحاء المكان، وتمضين معهم بعض الوقت... اشياء كهذه. ان هذا يجعلهم يشعرون بأنهم مرغوبون.»

فاتسعت عيناها باهتمام حقيقي، ثم قالت: «أظنني سأحب هذا العمل.»

فقال: «أظن أنه عمل تصلحين له.»

فتمتمت: «سيرفه عني هذا العمل...» وسرعان ما عضت على شفتها.

فقال: «جولي...»

فقفزت من مكانها وهي تتكلف الابتسام قائلة: «كلا يا نيكولاس. لا تهتم بما قلت. فأنا اعلم أنني ماهرة في الكلام. هل يمكنني الابتداء هذا النهار؟»

فأجاب: «بكل تأكيد.» ولكن بعد نظرة طويلة منه، ما لبث ان هز كتفيه ووقف هو أيضاً، قائلاً: «انني ذاهب لأحظى بعدة ساعات راحة. لا اظنك تهتمين بالمجيء... معي؟»

فحملقت فيه فاغرة فاها، وقد اخذ قلبها يخفق، ولكنها قالت: «انني لم اسهر الليل مثلك، يا نيكولاس. اعني...» وسكتت.

فنظر إليها طويلاً بغموض، ثم قال: «انني اعلم ما تعنين، يا جولي. لا بأس. لماذا لا تتمشين نحو المكتب وتبدإين بالعمل؟» ولكن كان في عينيه نظرة تهكم اخترقت قلبها.

فترددت، ثم اشاحت بوجهها مبتعدة، وقد اضطربت مشاعرها، وهي تتساءل بتعاسة عما يتوقعه. لا بد أنه يعلم بأنني لا استطيع تجنب التفكير في ما سيحدث لو مات ستيف سوارد، هذا فقط ما لا استطيع التوقف عن التفكير به وبكل شيء آخر...

وفي الأسابيع القليلة التالية، ألقت جولي بنفسها في عملها الجديد المستحدث بينما كانت الجياد تذهب وتجيء. كما أنها التقت، دون توقع، بصديق قديم، وهو شاب تخرج حديثاً في البيطرة وكان يساعد طبيبهم البيطري الذي

يزورهم بانتظام. كان اكبر منها بسنتين أو اكثر، ولكنه ولد في نفس المنطقة، وبعد ان تركت المدرسة، كانا في نفس المجموعة من الأصدقاء. وقد بدا عليه السرور للإلتقاء بها مرة أخرى، فتبادلا بعض الأحاديث، متذكرين الأوقات القديمة، رفها عن نفسيهما وضحكا كثيراً. كان طويل القامة متين البنية طلق الوجه ذا شعر اشقر جعد، وعشق وحيد جاد في حياته هو الخيول. وقد فهمت ان ليس لديه علاقة عاطفية حالياً. ولكن في غمرة السرور الصافي الذي وجدته في صحبته، لم تلحظ أنه كان ينظر إليها احياناً نظرة جديّة، لم يخطر لها هذا الأمر ببال، وذلك لسببين، الأول هو أنها لم تكن تتطلع إلى ذلك، والثاني هو أنها اصبحت امرأة متزوجة.

وما كانت لتلاحظ ذلك قط لو لم تكن تضحك، ذات يوم، لشيء قاله وهي تمر به ثم نظرت أمامها لترى نيكولاس واقفاً بجمود يراقبهما. سارت نحوه متسعة العينين حين رأته لا يتحرك، ولكن بدا ان عينيه الرماديتين تخترقان عينيها لحظة طويلة. وفي النهاية، تحرك وهو يقول لاوياً شفتيه بازدراء: «مرحى يا جولي. هل تستمتعين بوقتك؟»

فأجابت: «نعم... كلا... اعني... نيكولاس؟» وعبست قائلة: «هل ثمة شيء خطأ؟»

فقال ببساطة: «كلا، كلا طبعاً يا جولي.» ولكنه اخبرها ذلك المساء نفسه أن عليه أن يسافر إلى سيدني لعدة أيام...

«جولي؟»

«أوه، نيكولاس.» ورفعت نظراتها باسمة من المكتب

الذي كانت فيه منذ رجوعها من الاصطبلات، وقالت: «لم اسمعك تدخل. هل انتهيت من عمل النهار؟»

أجاب: «نعم.» وألقى بقبعته ثم تمطى وهو يقول لها: «يبدو عليك الاستغراق في التفكير.»

فقالت: «كنت فعلاً.» واضافت وهي تقف: «ان العشاء جاهز ولكنني سأطلب من غريس ان تؤجله نصف ساعة إلى أن تستحم. هل تريد عصيراً؟»

فأجاب بعد أن حامت نظراته فوق جسمها وقد ضاقت عيناه حتى ظنت أنه سيسألها عما كانت تفكر فيه، ثم بدت على شفتيه ابتسامة باهتة، ليشيح بوجهه بعد ذلك قائلاً: «لا بأس. سأعود بعد عشر دقائق.»

تناولا العشاء، ثم القهوة على الشرفة حيث كان الهلال يلقي بضوئه على المكان.

وتمتمت هي: «انه الصيف حقيقة.» ومرة أخرى، حامت نظراته فوقها، متأملاً قميصها وتنورتها البيضاء القطنية المنقوشة بالأقحوان الأصفر. وقال: «ان العيد الكبير سيحل قبل ان ندرك أين نحن، بما ان الأمور قد هدأت نوعاً ما، يا جولي، فإن عليّ ان اسافر لعدة أيام... اسبوع على الأكثر، وخصوصاً إلى سيدني، لإنجاز اعمالي كافة. لقد خفضت عدد المتقدمين إلى وظيفة فيرا إلى اثنين، وساقابلهما، ولكن إذا احببت المجيء معي...»

فأجابت بسرعة: «كلا. شكراً. مازالت هناك جياد تذهب وتجيء. ان بإمكاني أن اتابع عملي هنا، إذا كنت تريد.»

فقال: «انه ما تريدينه انت.» وأمعن فيها النظر وقد ضاقت عيناه. فقطبت حاجبيها قليلاً وقالت: «انني اعلم انك

لا تفتأ توجه إليّ هذا السؤال، ولكنه دوري الآن لاسألك، هل ثمة شيء خطأ؟ انني اعرف فريد منذ سنوات طويلة إذا كان هذا...» وسكتت وأخذت تحدّق فيه، ولكنه قال فقط، مرة أخرى بازدراء: «ان هذا يجعلني اشعر بكبر السن. ان رؤيته متخرجاً لهو شيء حسن. اظنه سيتفوق في مهنته حسب ما رأيت منه إلى الآن. كلا، ليس ثمة شيء خطأ، يا جولي... كما تقولين لي دوماً.»

فعبست وهي تقول: «لقد تساءلت عما إذا كنت ظننتني امرأة مدمرة، مرة أخرى.»

فقال: «كلا.» وبقي صامتاً فترة طويلة، ثم تمطى وتثاءب، متابعاً قوله: «ان عليّ ان استيقظ مع الفجر غداً لأشرع في السفر.»

فقالت جولي بشيء من الاهتمام: «آه، لقد سبق ووعدت مايك أن اساعده على تأليف قطعة انشائية عليه أن يقدمها لمدرسة الطيران غداً. ان عليه ان يقرأها في الراديو.»

فقال نيكولاس برقة غريبة: «لا بأس.» ووقف قائلاً: «تصبحين على خير، يا عزيزتي. سأحاول ان لا اوقظك في الصباح، وساتصل بك هاتفياً من سيدني.»

فقالت جولي بصوت منخفض غريب: «تصبح على خير.» وأخذت تنظر إليه وهو يبتعد ببطء وهي تشعر بمثل طعنة السكين من الألم في قلبها.

لم يتلاش ذلك الألم في اليومين التاليين، كلا، ولم يفلح في تهدئته عملها في مكتب الاصطبلات ولا صديقها القديم فريد حتى ولا حصول مايك على الموافقة على قطعته الانشائية. كل ما كانت تفكر فيه هو أنها عندما استلقت

بجانب نيكولاس تلك الليلة تساءلت عما إذا كان سيقابل جنيفر في سيدني... ثم، إذا بالبرهان على ذلك يجيئها في شكل صورة في صحيفة صادرة منذ يومين لم تكن هي لتهتم بقراءتها لو لم تكن غريس التي كانت تحرص على قراءة صحف سيدني مهما كانت قديمة، وذلك لحنينها إلى مدينتها، لو لم تكن غريس هذه قد تركتها على مائدة المطبخ.

حدقت في الصورة، ثم سحبت نفساً طويلاً مرتجفاً. لقد ادركت، منذ تركهما سيدني، انها متشوقة إلى سؤال نيكولاس عن اخبار أسرة سوارد، ولكن هذا كان يبدو لها وكأنه استعجال للقدر كما أنه سيكون تثبيتاً لشكوكها فيما لو كانت ظنونها صادقة. ثم انه لم يكن قيامه بهذا شيئاً غير معقول، ولكن... حسناً، ها قد فعلها الآن، وشعرت بالتعاسة، واخذت تمسح دموعها. ذلك ان الصورة كانت تمثل نيكولاس وجنيفر، بينما يمسك بمرفقها، خارجين من مستشفى سيدني حيث كان ستيف سوارد مازال تحت العلاج، وكان تاريخ الصورة هو اليوم التالي لعودته إلى سيدني منذ يومين، وكان العنوان بسيطاً ولكنه يتضمن معنى خفياً بأن العداوة بين ويلز وسوارد في طريقها إلى الزوال.

وتساءلت وقد غمرتها التعاسة، لماذا لم يخبرني بأن رحلته لم تكن للعمل فقط؟

ولتصبح الأمور اكثر سوءاً، كانت قد خرجت للنزهة على ظهر جوادها، في ذلك النهار، عندما اتصل بها هاتفياً، وكان يتصل بها يومياً، فترك لها خبراً بأنه سيعود إلى

الاتصال باكراً صباح اليوم التالي، وأن تحرص على انتظار المكالمة. وتساءلت: هل كان ذلك لكي يشرح لي الأمر؟ ولكنه تأخر في ذلك أو ربما وضع في احتماله انني قد لا أرى الصورة. ثم لماذا لم يعد إلى الاتصال في المساء حين يكون وجودي في المنزل مؤكداً؟ أتراه كان... معها؟ لا أدري إلى متى استطيع احتمال هذه الشكوك وهذا العذاب.

وفي الصباح التالي لم يفسر نيكولاس شيئاً، كما انه لم يأت على ذكر أسرة سوارد، ولكنه قال انه سيعود في اليوم التالي بعد الظهر حيث انه قد عين البديل لفيرا، ثم سألها عن حالها.

فقالت تطمئنه: «اني بخير. بخير.»

فقال: «حسناً هل هنالك مشكلات؟»

فأجابت: «ليس على حد علمي.»

فقال: «حسناً، سأراك غداً، يا جولي.» ثم اقفل الهاتف.

ومضت لحظة قبل ان تضع هي السماعة من يدها، ثم قالت تخاطبها: انني لست واثقة من انك ستراني غداً، يا نيكولاس. ترى انني لا اظن أنه سيكون بإمكاني الاستمرار في العيش مع التفكير بك وبجنيفر، بعد الآن.

بعد ذلك بيومين، كانت جولي تجلس في مكتب المدرّسة فريديريكا في مدرستها القديمة. ذلك المكتب الذي لم يتغير منذ رأته لأول مرة عندما كانت في التاسعة من عمرها. وكانت تقول للمدرّسة وهي ترتجف: «انني بحاجة إلى نصيحتك، وشكراً لقبولك مقابلتي بهذه السرعة. والواقع انني مرتبطة.»

كان شعر المدرّسة فريديريكا قد اختلط به الشيب الآن،

كما كانت خطوط جديدة تغطي وجهها، ولكن قامتها الطويلة المستقيمة مازالت هي نفسها. وأجابت: «هذا ما يبدو لي، يا جولي. اني احب أن تزيديني علماً عن زواجك من باب اللياقة، على الأقل، إذا لم يكن لأجل شيء آخر.»

فتنهدت جولي وقالت: «المسألة هي أنني تزوجت أسوأ عدو لي... أو هكذا كنت اظن. لقد تزوجت لأسباب غير صائبة، ولا أقول جنونية، ثم وقعت في حبه. وبينما كنت اعلم انني سأستمر في حبه ربما بقية حياتي، كان هو في الوقت نفسه يحب امرأة اخرى لا يتمكن من الحصول عليها، ما عدا ان زوجها كاد يموت منذ اسابيع، ولو أنه مات... حسناً، ليس بإمكاني التوقف عن التفكير في ما كان سيحدث عند ذاك، ترين انه لو مات، لكان بإمكانهما العودة إلى بعضهما مرة أخرى لولا وجودي.»

فابتدأت المدرّسة فريديريكا تقول: «يا طفلتي العزيزة...» ولكن جولي قاطعتها قائلة بعنف: «انني لم أعد طفلة. هذا ما يظنه هو عني، ولكنني الآن امرأة حية تتنفس وذلك من كل النواحي، ما عدا انني لم انجب طفلاً بعد.»

فقالت المدرّسة فريديريكا بهدوء: «وانت تظنين أن كل ما يلزمك هو هذا؟»

فحدقت فيها جولي قائلة: «ماذا تعنين؟»

فأجابت: «يبدو لي انك تسببت بهذه المشكلة لنفسك، يا جولي.»

فعبست جولي قائلة: «ربما هذا لأنك انشأتني، تقريباً، عديمة العرفان بالجميل، ولكن...»

فقاطعتها فريديريكا: «بالعكس يا جولي، فأنا دوماً كنت اشعر بأنني كنت اتعامل مع خامة ممتازة.»

فهمست جولي ذاهلة: «ماذا؟»

فتابعت المدرّسة تقول: «ولكن الأكثر من ذلك، هو أنه برغم مشاجراتنا الكثيرة، كنت آمل دوماً في أن يكون لديك ما يكفي من التقدير لي بحيث تستفيدين من تربيتي لك، مهما كانت تلك التربية تبدو قديمة الطراز في ذلك الوقت.»

فكرت جولي لحظة، ثم قالت بصوت مبحوح: «نعم، لقد فعلت هذا، وهذا هو السبب في وجودي هنا، ولكن...»

فقالت المدرّسة: «جميل جداً. والآن، فلنتتبع هذا الأمر خطوة خطوة يا عزيزتي، وأنا اعتذر لمخاطبتك بكلمة طفلتي.»

وهذا ما كان. وفي النهاية، صمتت فريديريكا لحظة طويلة، ثم قالت: «انني اعجب منك يا جولي، لقد كنت اظنك اكثر شجاعة وعزماً.»

ولم يكن هذا ما توقعته جولي، فحملقت فيها قائلة: «اتعنين أن...؟»

أجابت: «اعني إذا كنت تحبين هذا الرجل حقاً، لما لا تناضلين لأجله؟»

فأطلقت جولي ضحكة متكلفة شاحبة، وقالت: «اتعلمين؟ لقد قطعت هذه الطريق اليك معدة نفسي لسماع حديث طويل عن احترام الحياة الزوجية، وليس حديثاً كهذا.»

فقالت المدرّسة: «ليس ثمة فرق كبير بين الأمرين...»

التزمت جولي الصمت لحظة، ثم قالت بألم: «ولكنه يجعلني احياناً اشعر بأنني طفلة، وهناك...» وسكتت، ثم

عادت تقول بلهجة غريبة: «وهناك اشياء بين الرجال و... حسناً، النساء، من الصعب شرحها.»

فقالت المدرّسة: «خصوصاً إذا كانت المرأة عديمة التجربة. انني اصدقك. ولكنني لا اصدق ان لذلك ان يغير من اخلاقك أو الأشياء التي تثقين بها، أو أن يدعوك إلى الهرب... هل هو يعلم مكانك؟»

فأجابت بذهن شارد: «كلا. ما الذي تقصدينه بقولك الأشياء التي أثق بها؟»

فقالت المدرّسة: «اعني ثقتك بنفسك بأنك امرأة ولست طفلة، وانك احببته ومنحته نفسك، ثم تقومين بمثل هذا العمل. ولكن ما كان ينبغي لي أن اقول هذا، بأنه رجل مغامر استغل فتاة ساذجة بريئة... وهذا ما يبدو بالنسبة لكثير من الناس في مواجهة الأشياء.»

فقالت جولي: «اعلم ذلك، ولكن ليس هذا بالضبط... لم يكن الأمر كذلك. انني في الواقع، احترمه بقدر ما احترمك انت.»

فقالت المدرّسة: «هل سامحته إذن على تلك الطريقة التي تزوج بها منك؟»

فسكتت جولي لحظة، ثم عادت تقول: «لقد كان لدي خيار آخر لم اتمكن من جعل نفسي تتقبله، كما سبق واخبرتك. اما ما الذي لم ادركه في ذلك الحين هو صعوبة العيش حين افكر في أنه يحب امرأة أخرى.»

فقالت فريديريكا: «ولكن لم يمر عليك وقت طويل مع هذه الأفكار.»

أجابت جولي: «كلا.»

فسألتها: «عدا عن شعورك بأنه لا يحبك بالقدر الذي تحبينه، كيف هي معاملته لك؟»

أجابت: «انها حسنة جداً. اسمعي، انني لا انكر انه يحبني إلى حد ما، وأنه لا يمكن أن يتخلى عن العناية بي، وما أشبه، حتى انني لا اتصور انه من الممكن ان يلطخ سمعتي قاصداً، بالرغم من...» وسكتت لحظة، ثم تابعت: «فقط يتملكني شعور مخيف بأنني لست أنا شريكة روحه بل هي.»

فقالت: «لماذا لا تمنحينه الفرصة؟ بإمكان الرجال ان يغيروا آراءهم. كلنا نفعل ذلك.»

فسكتت برهة مشوشة الذهن، ثم قالت: «ايمكنني البقاء هنا فترة من الزمن؟»

أجابت المدرّسة: «طبعاً، ولكنني أرى ان عليك الاتصال به بعد يوم أو يومين إذا كنت هربت منه دون أن يعرف مكانك.»

فسألتها: «اهذا هو رأيك؟»

أجابت: «ألا ترين أنه من الجبن أن تخفي نفسك عنه مدة اطول؟»

فقالت جولي: «اظن الحق معك...»

وفي الواقع، لم تتح لجولي الفرصة للاختباء طويلاً، والسبب في ذلك كان نيكولاس، ذلك ان المصادفة جعلتها تستمع إلى مادار بينه وبين فريديريكا وذلك عندما وصل إلى المدرسة في صباح اليوم التالي باحثاً عنها. وكانت هي تلعب البيسبول مع احدى التلميذات، وقد تركتها فريديريكا هناك عندما جاءها استدعاء إلى الداخل، فهي لم تشأ ان تترك لجولي فرصة تطيل فيها التفكير، أو تشعر

بالاكتئاب. وكانت عصر اليوم السابق قد استدعيت لتكون حكماً بين فريقي تنس، وفي المساء أرغمت على أن تعزف على البيانو في نهاية التدريبات السنوية للفرقة الموسيقية، ثم تناول عشاءً متأخراً مع التلميذات الأكبر سناً.

ولكن أثناء لعب البيسبول، ساورها شعور مفاجيء هو مزيج من الأسف لكون الأشياء لم تعد سهلة بالنسبة إليها، هذا إلى فكرة مستعجلة في أن عليها ان تجد مكاناً ما تنفرد فيه بنفسها لكي تفكر في وضعها. فاختارت مكاناً منعزلاً عن الفتيات هو عبارة عن حديقة صغيرة مسورة بجدار منخفض، وكان جديداً عليها، وذلك دون أن تنتبه إلى أنه كان أيضاً تحت نافذة مكتب المدرّسة فريديريكا مباشرة.

وعندما جلست، مريحة ظهرها إلى الجدار مغمضة العينين، جاءها فجأة من أعلى خليط من اصوات كانت واضحة تماماً ومألوفة لديها تماماً... «كيف حالك أيتها السيدة فريديريكا؟ انني نيكولاس ويلز وقد جئت لأسأل عما إذا كنت رأيت أو سمعت أي شيء عن زوجتي التي لا شك كنت تعرفينها باسم جولي برايت ستورم.»

فاستقامت جولي في جلستها وهي تزدرد ريقها. «آه، السيد ويلز! انني في الواقع، كنت اتطلع إلى التحدث معك قليلاً. اجلس من فضلك.»

مضت لحظة صمت ثم تابع صوت فريديريكا يقول ما جعل عيني جولي تتسعان: «هل لك أن تتفضل وتخبرني لماذا أرغمت فتاة بسذاجة وضعف جولي، على زواج مصلحة؟ ان لامثالك عندي اسماً غير مشرف ابداً.»

شهقت جولي. وجاءها صوت نيكولاس يقول: «هل هذا ما اخبرتك به جولي، ايتها السيدة فريديريكا؟»

فأجابت: «كلا، ليس هذا ما اخبرتني به. من الواضح انها معجبة بك وتحترمك، كما انها في الحقيقة، تظن انها تحبك. تحبك إلى حد انها مستعدة لأن تتركك لكي تعودا، أنت وامرأة اخرى، إلى بعضكما البعض مرة أخرى كشريكي روح.»

كانت المدرّسة تتحدث بازدراء وبرود كلي، ثم تابعت قائلة: «انني بانتظار جوابك، يا سيد ويلز.»

فقال بلطف انما بنفس البرود: «سيدتي، ليس في نيتي ان اكون شريك الروح لأي امرأة سوى جولي، لهذا...»

فقاطعته قائلة: «ما الذي جعلها إذن لا تشعر بذلك؟ وما الذي جعل هذه الفتاة الجميلة والتي كانت مليئة بالإشراق والحيوية، حتى عند شعورها احياناً بالوحدة، والتي كانت تدخل البهجة إلى نفوس الآخرين حتى عندما تكون عنيدة مشاكسة، طفلة ممتلئة صحة... ما الذي جعلها تصبح كزهرة ذابلة الآن؟ اخبرني بذلك، يا سيد ويلز.»

فوضعت جولي رأسها بين يديها شاعرة بأنها تكاد تموت.

قال نيكولاس بخشونة: «اسمعي سيدة فريديريكا. اخبريني فقط اين هي الآن، وربما يدهشك أن تعلمي أنني اهتم بجولي وسعادتها بنفس القدر الذي تهتمين أنت بها.»

فقالت: «ان لك إذن اسلوباً غريباً في اظهار ذلك، يا سيد ويلز.»

فقال: «هل ترين انه كان علي أن اتخلى عنها بعد وفاة أبيها؟»

مضت فترة صمت، سمعت جولي بعده صوت فريديريكا يقول بصوت أقل عداء: «هل لك أن تخبرني إذن، عن السبب الذي جعلك تتزوجها؟»

أجاب: «سأخبرك بشيء، وهو أن ليس لدي نية في إفساد حياتها، إذا كان هذا ما تخافينه. انني انا أيضاً اهتم بمصلحتها قلبياً.» وكان في صوته سخرية وهو يقول ذلك، ثم يتابع: «كما انني كنت ادرك، منذ البداية، ليس براءتها فقط، ولكن مبلغ ضعفها بعد وفاة والدها، ووحدتها، وعبء الدين الثقيل الذي ورثته، وإذا كان لي أن انبهك، يا سيدة فريديريكا، فأنا اعرفها من قبل أن تعرفيها أنت، فأنا اعرف أيضاً أن أي فتاة مميزة لا بد أن تكون جولي.»

فقالت: «هل لك أن تعترف على الأقل بأنك لم تتمكن من اسعادها يا سيد ويلز؟»

فتقبضت يدا جولي إلى أن ابيضت اصابعها بينما كان نيكولاس يقول: «هذا ما يبدو لغاية الآن، ولكن هذا لا يعني انني سأكف عن المحاولة. هل هي مازالت هنا؟»

ساد الصمت لحظة، قالت بعدها فريديريكا: «نعم.» ثم تابعت بصوت مختلف اللهجة: «إذا كنت قد أسأت الحكم عليك من بعض النواحي، يا سيد ويلز، فأنا اعتذر. ولكن لا بد لي من أن انبهك إلى أن تقصي من ذهنك كل الأفكار التي تتعلق بتلك المرأة الأخرى، لأنني اعتبرك مسؤولاً كلياً عن جولي... هل فهمت كلامي؟»

فأجاب: «تماماً. فأنا أيضاً اعتبر نفسي مسؤولاً كلياً عنها، وهكذا، نحن الاثنين، تربط بيننا...»

ولم تعد جولي تسمع شيئاً لأنها قفزت من مكانها فجأة

وركضت نحو غرفتها، حيث أخذت تحزم امتعتها بسرعة انما ليس بالسرعة الكافية، إذ سرعان ما كان الباب يقرع بخفة قبل أن تفتحه فريديريكا ونيكولاس خلفها مباشرة.

وهتف بها: «جولي، ماذا تفعلين؟»

رمقته بنظرة من تحت اهدابها، وذهلت لما رأته على وجهه من شحوب وارهاق، فاندفعت قائلة: «انني احزم امتعتي. مرحباً يا نيكولاس. انني... انني لم اكن اتوقع رؤيتك. آه، وما الفائدة؟» قالت ذلك متمتمة، ثم جلست على سريرها، وهي تقول: «اسمع، لقد سمعت حديثكما مصادفة، ولهذا عليّ أن اقول شيئاً وهو... اشكرك لدفاعك عني بهذا الشكل، يا سيدة فريديريكا. ولكنني لست زهرة ذابلة كما تصورت...»

فقالت المدرّسة: «جولي.»

فعادت جولي تقول بلهجة متعبة: «لم يكن ذلك ذنبي، فقد كنت جالسة بالصدفة تحت نافذتك، لقد أردت ان انفرد بنفسي في مكان ما حيث اتمكن من التفكير.» ثم استدارت تنظر إلى نيكولاس مباشرة، لأول مرة وهي تتابع قائلة: «كما انني اشكرك لشعورك بالمسؤولية نحوي بهذا الشكل، ولكنني ربما أعرف اكثر من غيري استحالة اقصاء احد من افكارك، إلا إذا لم يكن ثمة أمل... ربما حتى ولو لم يكن ثمة أمل... ولهذا...»

فقاطعها نيكولاس موجهاً حديثه إلى فريديريكا بلهجة آمرة إنما هادئة: «هلاّ تتركيني اعالج هذا الموضوع بنفسي، يا سيدتي، لو سمحت؟»

فترددت فريديريكا، ولكنها ما لبثت ان خرجت مغلقة الباب خلفها.

فقالت جولي: «لا تظن يا نيكولاس أن...»

فقاطعها قائلاً: «انني لا اظن شيئاً.»

قالت: «انك لا تعرف ماذا كنت اريد أن اقول.»

قال: «أليس كلاماً يشبه (لا تظن أنني عائدة اليك بعد الذي قلته للسيدة فريديريكا)؟»

فجذبت جولي نفساً عميقاً ثم جلست على السرير، وهي تقول: «نعم، ولقد سبّب لي ما سمعته هذا الصباح احراجاً كبيراً. وعلى كل حال، كيف عثرت عليّ بهذه السرعة؟» وبان الحنق عليها وهي تقول هذا. فأجاب: «لقد تذكرت ما سبق واخبرتني به عن السيدة فريديريكا، مرة... فظننت انك ربما جئت إليها. ولكن لماذا شعرت بذلك الإحراج؟»

فأجابت ساخطة: «لأنني... لأنني شعرت بأنني لم أترك المدرسة أبداً.»

فقال: «ومع ذلك، فبعض ما سمعته هذا الصباح كان صحيحاً، يا جولي.»

فأشاحت بوجهها، وقالت: «اعلم، اعلم ذلك، إنني... لقد كان أحد اسباب زواجي بك، وهو انني لم اكن اعرف إلى أين اذهب. لم اكن من النضج بحيث يمكنني الوقوف على قدمي. والآن، انظر إليّ كيف عدت إلى هنا.» ونظرت حولها بأسى.

فابتسم ابتسامة باهتة وقال: «حيث كاد اثنان يحبانك يتقاتلان لأجلك هذا الصباح.»

فحملقت فيه قائلة: «اتراها فعلت ذلك حقاً؟»

أجاب: «لقد بدا عليها وكأنها تتمنى لو تقتلني عندما عرفتها بنفسي.»

فقالت: «حسناً... ولكن هذا لا يغير من الأمر شيئاً.»

فأجاب: «ولكنه يؤثر عليّ أنا... خصوصاً عندما رأيت انك تركتني.»

فهمست وقد ابتدأ قلبها يخفق: «ما الذي تعنيه؟ اسمع، لقد رأيت صورتكما، انت وجنيفر معاً، في الصحيفة. ولكن على كل حال ما دام ستيف قد اوشك ان يموت، فالأشياء قد اختلفت الآن، وهما لم يكونا متناسبين تماماً منذ البداية، وهكذا... لم استطع تجنب التفكير في انك كنت تفكر في ما يمكن ان يحدث. وعلى كل حال فقد كنت انت الشخص الذي لجأت هي إليه.» ثم تهدج صوتها وهي تتابع قائلة: «سماعي لك هذا الصباح وانت تتحدث عن المسؤولية، والضعف والبراءة وكأنني قاصرة تحت وصايتك ولست زوجتك. كيف تتوقع مني الاعتقاد بأنني امثل بالنسبة إليك، شيئاً غير هذا، يا نيكولاس؟»

فقال: «انني لا أتوقع ذلك. ليس بعد. ولكنني اريد ان تمنحيني فرصة أوضح لك فيها كل شيء، أتسمحين لي بذلك، يا جولي؟»

فقالت متلعثمة: «ك... كيف؟»

قال عابساً: «ليس هنا طبعاً. هل تخرجين معي الآن؟»

فأجابت وهي تمسح دمعة من عينيها: «وماذا لو لم اقتنع بكلامك؟»

فقال: «انني عندذاك، اقوم بكل ما تريدينه مني.»

فترددت، ثم قالت: «حسناً، ولكن عليّ ان انبهك إلى أنني لم أعد فتاة مسيّرة يا نيكولاس، كما أنني لست زهرة ذابلة.»

فسكت وهو ينظر إليها جالسة مستقيمة الظهر على

السرير، وقد رفعت رأسها رغم أن عينيها كانتا ماتزالان مبللتين بالدمع وقد بدا ظل قاتم تحتهما. ثم تحرك وكأنه يريد أن يتخلص من تفكير يثقل عليه، وقال: «انك ما كنت كذلك قط، يا جولي. هل بامكاننا ان نتناول الافطار؟ لقد حان وقته.»

فأجابت: «ليس بالنسبة إلى الساكنين هنا، فقد تناولت انا إفطاري كما لعبت فترة في كرة البيسبول.» وابتسمت فجأة ابتسامة باهتة عادت بعدها إلى التجهم.

فقال: «إذن، نتناول القهوة؟»

فقالت: «لا... لا بأس، ولكن...» وابدت إشارة تعني عدم جدوى ذلك، فقال بلهجة تحوي لمحة مفاجئة من الهزل: «اتعهد بأن اجعلها ذات جدوى.»

فسكتت لحظة، ثم قالت بشجاعة: «نعم.»

الفصل العاشر

اخذها نيكولاس إلى مطعم يشرف على ميناء سيدني حيث جلسا في شرفته التي كان يعلوها، تقريباً جسر الميناء، بينما مياه الميناء تتراقص امامهما في أشعة الشمس، ثم دخل إلى المطعم يسجل ما يطلبانه حيث مكث عدة دقائق.

ولكن جولي لم تهتم لذلك، فقد كانت تحاول مستميتة، تمالك نفسها حتى انها تمنت لو يغيب مدة اطول، ولكنه مالبث ان عاد مع النادل حاملاً عصير البرتقال وقهوة وإناء يحتوي كعكاً محلى يعلوه آيس كريم.

فقالت: «ماهذا؟ لا أدري إذا كنت سأتمكن من أكل هذا كله.»

فتمتم وهو يجلس قبالتها: «حاولي.»

اخذا يأكلان بصمت إلى أن انهى صحنه، فأزاحه جانباً وأخذ يسكب القهوة، ثم قال: «جولي...»

فقالت في نفس الوقت: «نيكولاس...»

ابتسم وقال: «استمري.»

قالت: «كلا. انني على كل حال، لا أدري ماذا كنت سأقول.»

قال: «لا بأس، يا جولي، لقد كنت على صواب بالنسبة إلى جنيفر... مرة واحدة. عندما تركتني وتزوجت ستيف. اسودت الدنيا في وجهي واقسمت أن لا اغفر لهما، هما

الاثنين، أبداً.» وسكت وهو يمعن النظر فيها متفحصاً، ثم تابع قائلاً: «ورغم انه لم يكن صحيحاً القول انني لم اهتم بمن اتزوجها بعد ذلك، فإن الزواج الذي عرضته عليك لم يكن زواجاً صحيحاً.»

فأغمضت جولي عينيها، وتشاغلت برشف القهوة وهي تقول بصوت خفيض أجش: «استمر.»

فقال: «ومع هذا، فإن إشارة إلى ذلك جعلتنا، أنا والمدرّسة فريديريكا، ننخرط في جدل محرج بالنسبة إليك، هذا الصباح، وبكلمة أخرى، فقد كان يهمني جداً ما الذي سيحدث لك، وليس فقط لستورم، وكنت أدرك كم تعني ستورم بالنسبة إليك فأردت أن... اهتم بأمورك على الدوام. ولسوء الحظ...» وسكت، وشردت نظراته لحظة، ثم عاد ينظر إليها بعينين كئيبتين مظلمتين وهو يتابع قائلاً: «لقد حدثت اشياء معينة دون انتظار، كما تعلمين، وبينما كان لي أن اخرج عن الطريق السوي فألوّح بك لجنيفر، لكنه عندما حدث لم استطع مقاومة الشعور... بنوع من الانتقام.»

فهمست: «استمر.»

قال: «ولكن...» ثم سكت ناظراً إلى وجهها الشاحب، ثم تابع يقول: «عندما أدركت ذلك سرعان ما تبدل ذلك الشعور، بشعور الندم حتى كدت أوشك، عندما عرضت عليّ جعل زواجنا حقيقياً، أوشك أن اطلق سراحك.»

فهمست قائلة: «ياليتك فعلت.» ثم حملقت به قائلة: «ولكنك حاولت ذلك فعلاً، أليس كذلك؟ تلك الليلة، انني ما كنت لأمانع رغم... آه...»

فقال: «لا تلومي نفسك لهذا، يا جولي، بل لوميني أنا. كان بإمكاني القيام بذلك لو شئت.»

فقالت متلعثمة: «ولماذا... لماذا لم تفعل؟»

نظر في عينيها وقال: «لقد اكتشفت انني لا أريد ذلك حقاً.»

قالت: «وبهذا تستمر في الانتقام لنفسك بواسطتي؟»

قال: «كلا. بهذا يمكنني امتلاكك حقاً.»

حدقت فيه بحيرة وقالت: «ولكن... ولكن لماذا؟»

قال: «لأن الأمر أخذ يلح عليّ. هذا هو السبب. كان جمالك واحياناً عنادك، منبعاً لا ينضب لافتتاني بك من كل النواحي، بما في ذلك الناحية الخاصة... هذا هو السبب.»

فقالت بجهد: «أتريد ان تخبرني بأنك كنت ابتدأت تحبني يا نيكولاس؟»

فأجاب: «تماماً، يا جولي.»

فقالت: «لا أدري إذا كان بإمكاني أن اصدقك...»

فقال: «اظن عليك أن تحاولي.»

فقالت: «ولكن هذا لم يمنعك من أن تعاملني كطفلة احياناً... ألا تذكر ما حدث تلك الليلة التي حدث فيها الفيضان في مرعى الجياد؟»

فأجاب: «هذا صحيح، ولكن هل لي أن اشير إلى أن هذا لم يمنعني من معاملتك كامرأة، أيضاً؟»

فشعرت بوجهها يتوهج، ولكنها جاهدت لكي تركز افكارها ثم قالت: «حسناً، ومع ذلك فإن هذا لم يمح جنيفر من ذهنك كلياً، أليس كذلك؟ إنني اعلم ذلك، لأنني أولاً قد رأيتكما أنت وستيف كيف نظر الواحد منكما إلى الآخر بعد

شرائه الفرس، وليس ثمة ما يجعل هذه العداوة بينكما سوى سبب واحد، هو جنيفر.» وبدت التعاسة عليها وهي تقول ذلك.

فقال: «هذا صحيح، ان ذلك لم يمح جنيفر على الفور، يا جولي. ولكن ذلك كان مجرد عادة، كما أظن، ومن ناحية أخرى كان شعوراً بعذاب الضمير نحوها في ذلك الحين، ترين أن رؤيتها لنا معاً، هذا إلى حالتي النفسية السيئة في ذلك اليوم الذي قدما فيه بالطائرة إلى موركنغ لرؤية الفرس، كل ذلك نكأ جراح جنيفر مرة أخرى. فأخذت أنا أتساءل عما إذا كنت انساناً متوحشاً إذ اريها وميض انتقامي واجعل الذكريات الماضية تعود إليها في الوقت الذي كنت انا فيه أقع في غرامك.»

فسألته بهدوء بالغ: «هل اخبرتك هي بهذا؟ بأن جراحها قد انتكأت مرة أخرى؟»

أجاب: «نعم، ولكن فقط في اليوم التالي لمرض ستيف الذي أوشك فيه على الموت.»

فقالت: «ولكنك كنت تعرف مشاعرها قبل ذلك.»

أجاب وقد بدا في عينيه وصوته الاكتئاب التام: «نعم، لقد تكهنت بذلك. انه الشيء الذي كنت احلم بالتخطيط له أثناء الأيام السوداء التي مرت عليّ، ولكن ليملأني بالرعب حين حدث دون تخطيط. وأظن أن اكثر العداء الذي شعرت به نحو ستيف سوارد حينذاك كان الدافع له شيء كنت قلته أنت مرة وهو كيف يعرض جنيفر إلى مثل هذا الامتحان لأجل فرس؟ وهذا هو السبب في سروري لدفعه كل هذا المبلغ ثمناً لها في النهاية.»

فقالت: «أوه، ولكن هذا مازال يترك... اعني انك مازلت مهتماً بها بطريقة مختلفة... ليس معنى هذا انني اهتم للأمر، أعني... لا ادري ما الذي اعنيه في الواقع سوى أن من الصعب جداً أن يكره احد جنيفر سوارد، ثم انها لجأت اليك...» وكان صوتها وهي تقول ذلك، مليئاً بالاحباط.

فقال بلهجة جافة: «انها لم تفعل. لقد قامت فيرا بذلك من دون معرفة جنيفر به. وكان هذا من الأعمال الطائشة التي كانت فيرا ميالة إليه. لقد تملك جنيفر الرعب في الحقيقة عندما رأتني داخلاً إلى المستشفى، تملكها الرعب والشعور بالذنب بشكل هائل ذلك لأنها كانت تعتبر نفسها ملومة للنوبة القلبية التي اصابته.»

فهمست: «لماذا؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا مكثت معها طوال النهار تقريباً؟»

أجاب: «لقد مكثت لأنه لم يكن لديها احد آخر تلجأ إليه. ومادام الضرر من جراء حضوري قد حصل وانتهى الأمر، لم استطع ان اقف متفرجاً دون أن اساهم في الادلاء برأي ما في ذاك الوضع. أما لماذا شعورها بالذنب، فذلك لأن ستيف كان يعلم بسابق علاقتها معي أو ربما كان احضاره لها إلى موركنغ لكي يتأكد من انها قد شفيت من حبها لي... لا أدري. ولكنني متأكد من أن ذلك كان تصرفاً من عقله الباطن في حربنا، إذ يشتري الفرس بمثل ذلك الثمن الباهظ. اظنه كان يحاول أن يثبت لجنيفر شيئاً ما...»

فقالت جولي وقد اتسعت عيناها: «فهمت... آه، نعم، لقد فهمت. وهكذا كان أولاده على حق في اتهامهم ذاك لها.»

فقال نيكولاس عابساً: «كانوا على حق جزئياً، اما الذي

لم يكونوا يعرفونه، فهو أن شعوري نحو جنيفر ذلك الحين كان عبارة عن العطف فقط والذي قد يبقى لديّ نحوها على الدوام، وانني لم أعد احبها، وأنني لم احبها قط كما احبك. كذلك الشيء الآخر الذي لم يعرفوه هو أن الصدمة التي اصابت جنيفر وهي ترى ستيف على عتبة الموت، قد فتحت عينيها على حبها له.»

فجلست جولي تحدق فيه، ثم قالت وهي ترتجف: «هل تصدق ذلك حقاً؟»

فأجاب: «نعم، انني اصدق. ان الصورة التي كنت رأيتها انت في الصحيفة، والتي لم انتبه انا إليها حين أخذت لنا إلى أن ارتني إياها غريس لأنها كانت رأتك تنظرين إليها والدموع في عينيك... تلك الصورة كانت الفصل النهائي. لقد ذهبت برفقة جنيفر لأرى ستيف، واخبرناه معاً بكل هذا، وقد قمت بذلك فقط لأنه أصيب بنكسة، بعد عودتي إلى سيدني بالضبط، وكانت من اللهفة لأجله بحيث اتصلت بي متوسلة إليّ لكي اقوم بهذا، واظن اننا نجحنا في ذلك معه.»

فقالت: «ولكن ما سبب... نيكولاس، هل علمت بشعور جنيفر نحو ستيف بعد أن اصيب بالنوبة القلبية؟»

فأجاب: «نعم.»

فهمست: «ولماذا لم تخبرني؟ كيف تخبر ستيف ولا تخبرني أنا؟»

فأجاب: «عندما عدت من المستشفى بعد اصابة ستيف بالنوبة القلبية، لم أكن اريد شيئاً اكثر من أن اخبرك بهذا. ولكن...» وسكت وهو ينظر في اعماق عينيها الجميلتين، ثم تابع قائلاً: «لقد ابتعدت عني، لقد اوضحت تماماً انك لا

تريدين ان تسمعي شيئاً آخر عن هذا الموضوع. حتى أنه بدا عليك النفور بسبب كل هذا، فظننت أن الأوان قد فات وأنني فقدتك نهائياً وأنني لا استحق غير ذلك لأنني كنت أحمقاً مدة طويلة. فكرت في أن ليس من سبب يجعلك تستمرين في العيش معي بعد كل ما فعلته؟ لقد شعرت بأنني مذنب إلى حد الاجرام وأنا اراك تبتعدين عني شيئاً فشيئاً، ثم رأيتك مع فريد... رأيتك معه قد عدت إلى الضحك، وإلى شخصيتك القديمة الحلوة الطبيعية... ما اصعب التعبير عن ذلك بالكلمات... ورأيت الطريقة التي كان ينظر بها إليك وفكرت... كم يكون من الأفضل لك لو احبك رجل ليس له ماضٍ اسود، رجل فتيّ وغير معقد...»

فهتفت: «نيكولاس. لقد ابتعدت عنك، ليس بسبب نفور منك، وانما لم استطع التوقف عن التفكير في ما كان يمكن أن يحدث لو أن ستيف قد مات. وكنت اتمنى الموت لنفسي لشدة شعوري بالتعاسة.» وطفحت عيناها بالدمع وهي تتابع: «انك لا تعلم أن فيرا... فيرا اخذت تؤكد أسوأ مخاوفي في الليلة التي سبقت الحفلة.» واخبرته بما كانت فيرا قالته لها، وكيف ان فيرا كانت تعتقد تماماً بأن الأمر لم ينته بينه وبين جنيفر ثم قالت: «وعند ذاك، عندما اتصلت بك فيرا هاتفياً...» وسكتت لتنهمر دموعها على خديها.

فقال عابساً بعد أن اغمض عينيه لحظة قصيرة: «ربما كنت اعلم انك على حق، ولكن ما الذي جعلني اصبر عليها، فهذا الذي لم اعرفه. ولكنها كانت مخطئة»

فقالت: «لقد اعتذرت عن كل ما كانت قالته لي.»

فنظر إليها بحدة وقال: «مثل ماذا؟»

فقالت وقد شردت نظراتها: «آه، يا نيكولاس، لا اظن ثمة فائدة من الكلام... فيرا هي فيرا.»

فسألها: «هل تصدقين ما قلته لك الآن، يا جولي؟»

فقالت: «انني...»

قال بهدوء: «هنالك شيء آخر. عندما عدت إلى موركنغ وكنت أنت قد رحلت، وعندما واجهت السيدة فريديريكا ووصلت إلى حد الشعور نحوها بالكراهية لأنها كانت تظن أنها تحبك وتفهمك اكثر مني، ادركت عندذاك بأن ليس بامكاني ابداً ان ادعك ترحلين، يا جولي، حتى ولو اعتقدت بأن حالك سيكون افضل من شخص مثل فريد، انني لا يمكن أن اقوم بذلك مطلقاً.»

فقالت: «ولكنك قلت لي هذا الصباح انك ستعيدني إلى المدرسة الداخلية إذا انا اردت ذلك.»

فسألها بهدوء: «وهل تريدين ذلك؟ كنت أرجو ان اتمكن من اقناعك بأن تمنحيني فرصة أخرى. كنت أرجو انك لن تفضلي العودة إلى المدرسة إذا أنا اخبرتك بكل هذا وكيف انك تسللت إلى قلبي وحياتي إلى درجة ساشعر فيها الضياع والوحدة من دونك وذلك إلى آخر حياتي، كنت أرجو ان اتمكن من تقديم البرهان لك بأننا شريكي الروح.» ونظر في عينيها طويلاً، وقالت بلهجة مفككة: «انني اريد... اريد يا نيكولاس من كل قلبي ان اصدقك، ولكن...»

وسكتت بعد أن انتبهت إلى أزيز فوق رأسيهما، كما انتبهت إلى بعض ندل المطعم، وبعض المارة يقفون وينظرون إلى أعلى مبتسمين وهم يبدون بعض الاشارات. فنظرت هي ايضاً إلى أعلى لترى طيارة تطير فوق جسر

الميناء مدلية راية.. راية كتب عليها بأحرف ضخمة واضحة تماماً (أنا أحبك يا جولي. نيكولاس.)

فاهتزت، وعادت تنظر مرة أخرى إلى الراية بشك، ثم استدارت إليه وهي تهمس بلهفة: «نيكولاس، هل هذا صحيح حقاً؟»

فأجاب: «إذا سمحت لي، فسأمضي بقية حياتي أبرهن لك على صحته، يا حبيبتي جولي.» استدار كل من في المطعم ينظرون إليهما وكأنما أصبح واضحاً للجميع من هما نيكولاس وجولي، وسرعان ما أخذوا يهتفون ويصفقون لهما.

وهمس لها: «أظن من الأفضل أن نخرج من هنا.»

فأجابت: «نعم، أرجوك. آه، كلا. أتظن أن هذا سينشر في الصحف مرة أخرى؟»

فأجاب: «أرجو ذلك.» ثم أضاف ضاحكاً: «وهي كذلك ستمهد طريقي للنجاح اذا كانت السيدة فريديريكا قد رأتها. هيا بنا.»

سألته ضاحكة وهما يدخلان إلى جناحهما في فندق قريب: «كيف تدبرت أمر تلك الراية.»

فأجاب: «عندما ذهبت لأطلب ما نأكله، في المطعم، اتصلت بصديق لي يملك طائرة، وهو يعطي دروساً في الطيران، ويعلق الرايات، ومن حسن الحظ أنه كان على وشك الخروج. لاشك أنه يعتقد الآن إنني قد جننت.»

فقالت جولي باكتئاب: «علي أن أتصل بالسيدة فريديريكا. في الواقع كانت دهشتي لا تحد عندما

هاجمتك هذا الصباح، لأن نصيحتها لي كانت أن أناضل لأجلك اذا كنت أحبك حقاً.»

قال: «أحقاً؟»

فأجابت: «نعم، هذا غريب. أليس كذلك؟»

فقال: «ليس غريباً إذا كانت قد لاحظت أنك تحبينني حقاً.»

فعبست قائلة: «لا أظن أحداً يشك في هذا يا نيكولاس.»

قال لها: «إنني اسف. لا أدري ما الذي جعلني أحمقاً غبياً بهذا الشكل. هذا كل شيء.»

فقالت له: «هل لنا أن نرتاح قليلاً؟ ربما لا يعاودك بعد ذلك هذا الشعور.» نظر إليها، فكادت تشهق للحب الذي رأته في عينيه، بينما كان يضحك فقالت: «أتراني قلت شيئاً خطأ؟»

فأجاب: «كلا، آه كلا يا جولي. ولكن ثمة شيئاً آخر كنت قلته مرة وهو أنك تفضلين لو كنت متزوجة من شخص يهمك دون تجارب ولكنه يحبك إلى درجة لا يعود يهمك ذلك... وهذا ما أشعر به في هذه اللحظة، مبتهج، منتعش، مخلص، ومتلهف للذهاب معك إلى اي مكان تريدينه.»

أمضيا بعد ظهر ذلك اليوم يتفرجان على فيلم على شاشة التلفزيون، وحوالي الساعة الرابعة ذهب إلى غرفة الجلوس ليجري بعض الاتصالات الهاتفية. وعندما سألته عنها، أخبرها أن تتذرع بالصبر. وبعد ذلك بنصف ساعة، قرع الباب، فعاد إلى غرفة النوم بصندوق كبير ومغلف، فسألته: «ما هذا؟»

فأجاب: «إفتحي الصندوق أولاً.» ففعلت لتكتشف في

www.elromancia.com

الداخل مجموعة رائعة من ملابس تخطف الأبصار بألوانها المختلفة.

وقالت: «لن احتاج إلى كل هذا اذا كنا سنذهب إلى حيث أظن.»

فقال: «وإلى أين تظنين سنذهب؟»

فقالت: «إلى جزر إينشيل».

فقال: «إفتحي المغلف على كل حال.»

ففتحته، وتصاعدت منها شهقة، ثم قالت: «نيكولاس..»

قال: «ما رأيك؟ إننا سنسافر جواً إلى تاهيتي حيث نتابع رحلتنا بحراً إلى جزر إينشيل، ثم إلى اربع مدن أخرى، وهكذا ستحتاجين إلى الكثير من الملابس الجديدة. هيا، لا تبكي.»

فقالت: «إنني لا أبكي، أعني أنني أبكي من السعادة. أتذكر ما قلته لي مرة عن اللمحات الشاعرية؟... حسناً، إن لمحاتك هذه هي أفضلها.»

فقال: «حسناً، إن أول لمحة لي، وهي الراية، ليست مبتكرة تماماً، ولكنني ربما أتعلم الآن.»

وبعد أن تناولا عشاء أرسل لهما إلى جناحهما، قالت له: «كم أحبك يا نيكولاس.»

فقاطعها قائلاً: «دعيني إذن أخبرك أن حياتي بعد الآن قد التحمت بحياتك، وسأتذكر على الدوام تلك الفتاة الرائعة الجمال التي اصبحت زوجتي والتي اخبرتني، عند ذاك، أنها قد شعرت... بالتحول وأنا سأداوم على تحويلها بقية حياتي. تماماً كما سأعيش معها بالحب والمرح، واكون والد اطفالها واستمتع بضوء الشمس الذي يشع منها في

كياني، يا جولي.» ورفع وجهها يحدق في عينيها وهو يتابع: «أحبك. ولا استطيع الحياة بدونك.. وهذا هو كل شيء.»

ولو كان بقي لديها أدنى شك في كلامه، فقد تبخر في اليوم التالي عندما ذهبا معاً لزيارة السيدة فريديريكا. وعندما جلسا أمامها في المكتب، قالت المدرّسة الحكيمة: «آه، ها قد حسمتما الأمر. لقد كنت قاسية نوعاً ما عليك أمس يا سيد ويلز، ولكن شيئاً في النهاية أقنعني بأنك تحب جولي، وذلك لما ظهر عليك من ارتياح لا يمكن وصفه عندما أخبرتك أنها مازالت عندي في أمان. فليوفقكما الله يا أعزائي.»

ملأت جولي البهجة لأشياء كهذه ظلت تحدث لها، أدلة صغيرة، كما حدث أثناء شهر عسلهما المتأخر هذا وكانا على ظهر السفينة في المحيط الهندي. كان العشاء رسمياً وكانت هي ترتدي ثوباً للسهرة، كما رفعت شعرها عالياً. ولكنها اضطرت للعودة إلى كابينتها لتغير جوربها الذي تمزق، واستغرق ذلك حوالي ثلث الساعة. وعندما عادت، كان نيكولاس، والذي كان يبدو رائعاً في بذلة السهرة السوداء، كان واقفاً مع مجموعة من الناس بالغي الأناقة، وقد أحاطت به امرأتان رائعتا الجمال تتنافسان في جذب اهتمامه كما يبدو. ووقف قلب جولي عن الخفقان عندما اقتربت منه ورأت ما يبدو على ملامحه من شرود وهذا ما لم تعد تراه في الأسابيع الأخيرة، وما أن نظر في عينيها حتى

عاد إلى نفسه ومزاجه الطبيعي، فاعتذر ممن يقف معهم وتقدم نحوها.

فسألته هامسة: «هل حدث شيء؟»

فأجاب: «نعم، تعالي إلى الخارج.» وأمسك بمرفقها يقودها إلى ظهر الباخرة حيث وقف بها في ناحية بمعزل عن الاعين، ثم قال: «لقد اشتقت إليك. لم استطع أن أفهم سبب غيابك الطويل، خصوصاً عندما أخذ الجميع يسألونني أين هي زوجتي الرائعة الفاتنة. وقد خشيت أن تكوني قد سقطت من على ظهر الباخرة، أم أنك وجدت رجلاً غيري.»

فقالت ذاهلة: «نيكولاس.»

فقال: «هذا بالاضافة إلى أنني بحاجة إلى المزيد من الاطمئنان.»

وفي غرفتها الخاصة، قال لها: «لا أدري ماذا حدث لي، ولكن عندما رأيتك قادمة نحوي أخيراً، شعرت بالشوق مجدداً إليك.»

فقالت: «لشد ما أنا مسرورة بهذا، إن ذلك الشعور (بالتحول) الذي كنت أحسست به في بداية أمرنا، لا يقاس بشعوري هذا الآن.»

فضحك بهدوء قائلاً: «لقد فاتنا العشاء.»

قالت: «لا بأس، فأنا أحبك.»

فقال: «حتى بعد كل ما سببته لك من عذاب؟»

فنظرت إليه بمكر وقالت: «ولكنك الرجل الذي رفع لي راية فوق ميناء سيدني مكتوباً عليها أنه يحبني. لا تنسى هذا.»

فقال: «إنني الرجل الثاني الذي فعل ذلك... فهل من الغريب ان اشعر بالغيرة احياناً؟»

قالت: «إنك الرجل الوحيد بالنسبة الي.»

قال: «هكذا إذن... هل تصدقينني الآن، يا جولي؟»

أجابت: «نعم، يا نيكولاس. وهل هذا امر مهم بالنسبة اليك؟»

فقال بهدوء بالغ: «إنه اكثر الأمور أهمية في العالم بالنسبة الي.»

فقالت: «حسناً، وأنت أكثر الأشخاص أهمية في العالم بالنسبة إلي. ها لقد نجحت تجربتنا بشكل مدهش، أليس كذلك؟»

أجاب: «نعم، لقد نجحت والحمدلله. لقد نجحت تماماً.»

تمـــت

www.elromancia.com